٣٤
تصدر منتصف كل شهر هجري ـ السنة السادسة ـ ١٥ / جمادى الأولى / ١٤٢٢ هـ ـ عدد (٣٤)

الأصالة

رسالة إسلامية منهجية جامعة

عودة إلى الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة

اقرأ في هذا العدد . . .

- **ملف العدد :** نبذة عن حياة الشيخ مُقبل بن هادي الوادي .
  وسقط نجم آخر . . . .
  قصيدة في وفاة الشيخ مُقبل وما بعدها .
  وصيته .
- **مآخذ منهجية على د. سفر الحوالي . . .** الشيخ ربيع بن هادي .
- **البُغاث . . . .** الشيخ علي الحلبي .
- **التماس العذر للعلماء . . . .**
  عبد الله اللويحق .
- **الإشاعة وأخطارها على الأمة . . . .**
  د. عبدالعظيم بدوي .
- **للحق أهله . . . .**
  أسرة التحرير .

«الأصالة»
أشعر أنها اسمٌ على مسمّى ـ إنْ شاء الله ـ
الشيخ العلامة / محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله ـ
« مجموع فتاويه »
(رقم ٦٣١٨)

الناشر : مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية
تلفون : ٠٠٩٦٢ـ٦ـ٥٠٥٤٠٥٣

السنة السادسة - عدد(٣٤)
١٥/ جمادى الأولى/ ١٤٢٢هـ

رسالة إسلامية منهجية جامعة

٣٤

الأصالة

عودة إلى الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة

تصدر منتصف كل شهر هجري

أسرة التحرير:

الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري ..... رئيسا

الشيخ سليم بن عيد الهلالي ..... عضوا

الشيخ د. محمد بن موسى آل نصر ..... عضوا

الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان ..... عضوا

إخواننا القراء

نرحب بكل مقال علمي رصين،
ونرغب في كل نقد هادف بناء
في (الأصالة):
منبر لكل مسلم مخلص داع على الحق .
- وفقنا الله وإياكم لكل خير -.

الاشتراكات

- المملكة العربية السعودية (١٨٠ ريالاً).
- بقية الدول العربية (٥٠ دولاراً).
- أوروبا (٦٠دولاراً).
- أمريكا (١٠٠ دولاراً).

ثمن النسخة

الأردن: (دينار)، الإمارات المتحدة : (١٠دراهم)، البحرين: (دينار)، السعودية (١٠ ريالات)، الكويت: (٨٠٠فلس)، أوروبا (٤دولارات)، أمريكا (٥دولارات).

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم (٤/٣/١٣٢٨)

عنوان المراسلة
الأردن - عمّان
ص.ب (٩٨) الرمز البريدي (١٣٧٨١).
تلفاكس: ٥٠٥٤٠٥٣ - ٦ - ٠٠٩٦٢
موقعنا على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت):
www.albani-center.com

تطلب (الأصالة) من:

الإمارات: جمعية دار البر - دبي

البحرين: مكتبة التوحيد

اليمن: مكتبة الإدريسي السلفية - صنعاء - شارع تعز - قرب فندق الوطن - هاتف ٦٢٠٢٢٧ - ٢٦٣٩١٤

الجزائر: مجالس الهدى للإنتاج والتوزيع
08 شارع السيدة الإفريقية - باب الوادي - الجزائر
هاتف: ٢١٩٦٧٧٠٠ (٠)٢١٣ فاكس: ٢١٩٦١٠٠ (٠)٢١٣
البريد الإلكتروني: madjaliss@hotmail.com

الولايات المتحدة:
AL-QURAN WAS-SUNNAH SOCIETY (QSS)
19800 VAN DYKEROAD
Detroit 48234-3354
Tel: (313) 893 - 3768
Fax: (313) 893 - 3748

بريطانيا وإيرلندا:
Salafi Pubications
17 - 19 Muntz Street
Small Heath
Birmingham Bio 9SN
TEL: (44) 121 773 0003
(44) 121 773 0033
Fax: (44)121 773 4882
E-mail: enquiries@Salafipubications.com
WebsiteL:WWW.SalafiBookstore.com

وتطلب (الأصالة) من جميع المكتبات السلفية في العالم.

خطبة الحاجة

إنَّ الحَمْـدَ للهِ؛ نَحْمَـدُهُ، وَنَسْتَعِنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَـا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِـنْهُمَا رِجَـالاً كَـثِيراً وَنِسَـاءً وَاتَّقُـوا اللهَ الَّـذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾.

﴿يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾

أَمَّا بَعْدُ:

فَـإِنَّ خَـيْرَ الحَدِيـثِ كِـتَابُ اللهِ ، وَأَحْسَـنَ الهَـدْيُ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرَّ الأُمُـورِ مُحْدَثَاتُهـا ، وَكُـلَّ مُحْدَثَـةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

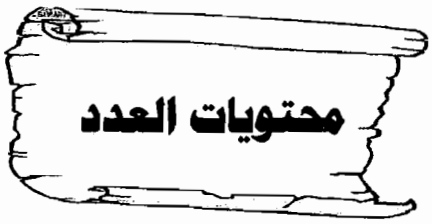

محتويات العدد

- **فاتحة القول:** للحق أهله

التحرير ٥

- **تأملات قرآنية:** ﴿وما بدلوا تبديلاً﴾

الشيخ د. أبو أنس محمد بن موسى آل نصر..... ٧

- **الكلم الطيب:** نحو خلافة راشدة على منهاج النبوة (٢)

الشيخ سليم بن عيد الهلالي ١٠

- **الكتب تعريفاً ونقداً:** مآخذ منهجية على الشيخ سفر (١)

فضيلة الشيخ د. ربيع بن هادي المدخلي ١٥

- **كلمات في التربية والمهاج:** البغاث

الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري ٢٢

- **مناهج العلماء:** أثر الشاطبي في الإصلاح والمصلحين (٦)

الشيخ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ٢٤

- **مصطلح وبيان:** حول كلمة وهابي

الشيخ العلامة مقبل بن هادي الوادعي ٢٨

- **تزكية النفوس:** الحق واضح

د. حمد العثمان ٣٤

- **الأخلاق:** الإشاعة وأخطارها على الأمة

د. عبدالعظيم بدوي ٣٧

• **في رحاب العلم:** التماس العذر للعلماء

عبدالله بن معلا اللويحق ٤٣

• **ملف العدد:**

ـ **وفاء ورثاء:** نبذة عن حياة الشيخ مقبل الوادعي

أبو الحسن المأربي ٤٧

ـ وسقط نجم آخر

أبو عمر الكناني ٥٩

ـ من أعلام دعوتنا أبو عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي

أكرم بن محمد زيادة ٦٣

ـ وصية الشيخ مقبل الوادعي ٧٣

قصيدة في وفاة الشيخ مقبل، وما بعدها!

الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري..... ٧٦

• **متابعات:** الدورة العلمية الأولى في مدينة لندن ٧٧

• **مسك الختام:** ليس لها من دون الله كاشفة

التحرير ٧٩

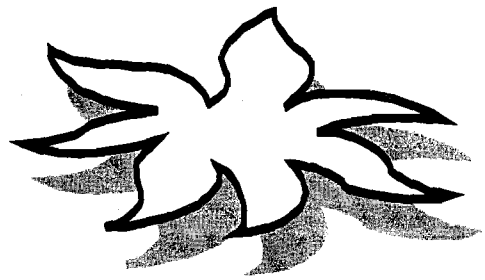

للحقِّ أهلُهُ...

• بقلم: أسرة التحرير

الحقُّ يعلو بصاحبِهِ ليعانقَ السماءَ بكلّ عزٍّ، وثباتٍ، واستحقاق؛ لأنَّ اللهَ هو الحقّ، وكتابَه حقّ، وسنّةَ نبيِّه ﷺ حقٌّ . .

مِن أجل ذا؛ فإنَّ صاحبَ الحقِّ كبيرُ النفس، واثقُ الخَطوِ؛ لا يُكَدِّرُهُ ما يقعُ للباطلِ من سَطْوَةٍ، أو ما يكون لأهلِهِ من حَظْوَةٍ؛ فإنْ كان للباطل جولةٌ: فإنّ للحق جولاتٍ، وإن كان للباطل دولةٌ: فللحق دُوَلٌ . . .

ومِن صريح صحيح السّنَّةِ المشرّفةِ قولُ نبيِّنا ﷺ: «إنّ لصاحب الحقِّ مقالاً»؛ مقالاً يُبيِّن فيه حقَّه، مقالاً يقمعُ فيه الباطلَ الذي يُعربد أهلُه به ذات الشمال وذات اليمين، مقالاً يَنْقُضُ فيه التائِهين، والفارِّين، والجاهلين . . .

فلا يَظُنَّنَ أحدٌ أنَّ صَمْتَ أهل الحقِّ عن إبانة حقّهم: جُبْنٌ، أو أنَّ سكوتَهم عن كشف المخالفينَهم: عجزٌ، أو أنَّ صَبْرهم عن واجب البيان والتبيان: وَهَنٌ؟!!

لا، وألفُ لا؛ بل هو الحِلْمُ والأناة، والصبرُ على الخالف المخالف؛ ليرعويَ إلى الحقّ، ويرجع إلى الهدى، ويؤوب إلى السداد . .

فإنْ لم يُجْدِ هذا الصنيعُ خيراً مَعَ هذا المخالفِ -أو ذاك-: فليس ثمّةَ إلا الصدعُ بالحقّ، والنشرُ لأسبابهِ، والفتحُ لأبوابه . . .

وما هذا إلا من باب النّصيحة المحضةِ، للأُمّة، وذلك من وجهين:

الأول: إبانة الحقّ للفئة الواقفة على الخلاف -المتوقّفة فيه-؛ دون تمييزٍ منها لصاحب الحقّ مِن مُدّعيه.

الثاني: إقامة الحُجّة على المخالف للحقّ؛ بإعطائه الفرصةَ تِلْوَ الفرصةِ، ليرجع على الحقّ، ويكون من أهلهِ.

وعليه؛ فإنَّ كلمةَ الحق لا تكون حقّاً صِرْفاً إلا إذا اجتمع فيها -كسائر الأعمال- الإخلاصُ لله، والمتابعةُ لسنة رسول الله ﷺ؛ فحينئذٍ يُقبل الناس إليها، ويجتمعُ الخلقُ عليها؛ لأنّها صافية النّبع، صادقةُ الوَقْع . . .

أمّا إذا شابَ الكلمةَ التي (يُحْسَبُ) أنها حقٌّ: شيءٌ من شوائب الدنيا، أو شأنٌ من أدواء النفوس، أو أَثَرٌ من آثار السوءِ: فلن يكون لهذه الكلمةِ ولو رجعُ صدىً! بل إنها ستكونُ ويلاً وثُبُوراً على أدعيائها، وناراً وشناراً على مُناصريها . . . ولو ملأوا بها السهل والجبل، وزعموا -فيها- صدقَ العلمِ والعمل . . .

وسيبقى -بعد- أهل الحقِّ أهلاً لهذا الحقِّ؛ مرفوعةً رؤوسهم، عاليةً هاماتُهم، مُشرَئبّةً أعناقهم؛ لا ينطلقون إلا من الحقّ، ولا يصدر عنهم إلا الحقّ . . .

فَلْيهنؤوا بهذا الحقِّ -من جهةٍ-، ولْيجاهدوا أنفسَهم على الثبات عليهِ -من جهةٍ أُخرى-؛ فإنّ الصوارف كثيرةٌ، والمنغّصات وفيرة، والمُغرِيات متعدّدة، والابتلاءات متجدّدة . . .

والثابتُ القارّ خيرٌ بألف مرّة ومرّة من المتهوّك الفارّ، ولو أظهر هذا -الأخيرُ- نَفْسَهُ بثوبِ الغَيورالحارّ . . .

والهادي هو الله.

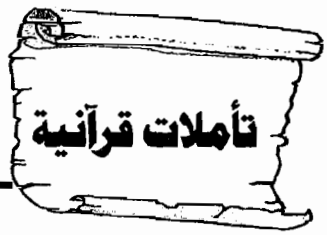

﴿ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾

● بقلم: الشيخ محمد بن موسى آل نصر

قال الله -تعالى-: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب:٢٣]، هذه الآية جمعت صفات ومواصفات أهل الثبات على الحقّ؛ الذين لا يهمهم إلا مرضاة ربهم، فلا تحركهم العبارة ولا الإشارة إلا إذا صدرت عن شرع الله ووحيه.

وإن كانت هذه الآية -كما ذكر المفسرون- تحكي بطولات بعض السلف كأنس بن النضر وغيره في غزوة أُحد أو غيرها، ووفاءَهم بعهدهم مع الله، غير أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب -كما هو مقرر عند العلماء-، ومن ها هنا؛ فإن هذه الآية عامة لكل المخلصين الصادقين الذين يثبتون على الحقّ رغم التحديات، ورغم المغريات، ولسان حالهم يقول: (إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي).

فالمؤمن الصادق لا همّ له في هذه الحياة الدّنيا إلا أن يعمل بمرضاة الله، ويجتنب مساخطه؛ يعمل بسنة رسول الله، ويجتنب البدعة وما يقرّب إليها، يوفي بعهده مع الله بالالتزام بالكتاب والسنة وعلى منهج سلف الأمة،

عقيدة، وشريعة، وعلماً، وعملاً، وسلوكاً.

وتأمل أيها القارئ الكريم مؤهلات أهل الاستقامة والثبات على الحقّ، فهم:

١- مؤمنون: أي صادقون في إيمانهم، ليسوا مذبذبين؛ كما قال الله -تعالى- في وصف المنافقين: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذلِكَ لا إِلَى هَـؤُلاءِ وَلا إِلَى هَـؤُلاءِ﴾ [النساء: ١٤٣]، لا يعرف لهم وجه، ولا حال؛ كالشاة العائرة؛ تعير تارة إلى هذا القطيع، وتارة إلى ذاك؛ فالمؤمن الحقّ لا يعرف التّلوّن، ولا التبدّل، وتغيير المواقف حسب المصلحة -تارة-، وحسب الكفّة الرّاجحة -تارة أخرى-، في زمن اختلط فيه الحقّ بالباطل، واتبع الناس فيه كلّ ناعق، فالحقّ أبلج والباطل لجلج، والأمر يحتاج إلى توفيق الله وعنايته وتسديده، وهذا لا ينال بالأماني.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

٢- رجال: أي: أهل عزيمة وقوامة، فهم عند كلماتهم، ومواقفهم؛ فالرجال هم الذين يثبتون على مواقفهم -التي ينصرون بها الحقّ- ثبوتاً أشبهَ ما يكون بثبوتِ الجبال الرواسي، ولقد أثنى الله على الرجولة في كتابه وسنة رسوله[1].

٣- صدقوا وأوفَوا بعهدهم، وذلك في قوله -تعالى-:﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾، وقد عاهدوا ربَّهم -سبحانه- على الثبات حتى ينالوا النّصر والشهادة، وهكذا أهل العلم يثبتون في ميدان العلم، والدّعوة؛ فلا يتنازلون عن عقيدتهم وإيمانهم، ومواقفهم الجهادية، مهما طال عليهم الأمد وكثر الخصوم، وقلَّ الأنصار.

ومن علامات سوء الخاتمة -عياذاً بالله- أن يظل الرجل على الحقّ ستين عدداً ثم ينتكس في نهايات عمره، وأواخِر أجله، ولو صبر وكتب له التوفيق لواصل المشوار على درب

(١) يُنظر مقالي«الرجولة في الكتاب والسنة».

أسلافه، ولم ينقطع قبل بلوغ الأجل، وقبيل قطف الثمر.

٤- أنهم أهل صبرٍ وثبات؛ فالواحد منهم لم يقض نحبه بعد، أي: لم يلق الله شهيداً ؛ شهيد ميدان العلم، أو الأرض؛ فهو ثابت على وعده، ثابت على الوفاء بنذره دون أدنى تبديل، أو تغيير مهما عصفت به رياح الفتن، فكيف يُتّهم من ثبت على ثوابت السلف ولم يبدل تبديل نوابت الخلف بالفرار!؟ ويتهم بأنه على غير الحقّ، ولم يتزحزح يوماً عن الحقّ[1] الذي قرره الله في كتابه وعلى لسان نبيه، ودرج عليه السلف وعلماؤهم وأئمتهم قديماً وحديثاً؛ رغم الإغراءات (المادّية) و(المصالح) الدنيويّة!!

نعم؛ نحن مع السلف -الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه- عقيدةً، ومنهجاً، إيماناً، وعلماً، وعملاً.

نحن مع بقية السلف في هذا الزمان: ابن باز، والألباني، وابن العثيمين، ومقبل الوادعي؛ الذين قضوا نحبهم على التوحيد، والإيمان، والمنهج؛ لم يغيروا، أو يبدلوا، أو يتلونوا، نحن معهم؛ لأنهم أئمة الهدى في هذا الزمان، ولن نبدل أو نتبدل -إن شاء الله-، ولو سخط علينا مَن بأقطارها، ولن نُرضي أحداً في سخط الله أبداً، والعاقبة للمتقين.

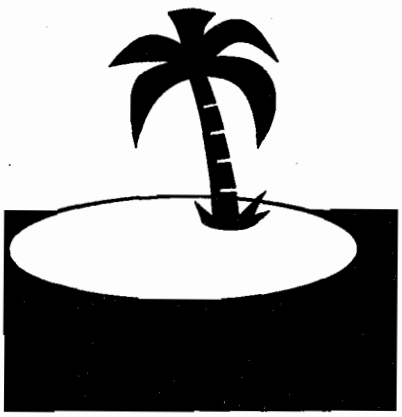

(١) وهي كلمةٌ مؤلمةٌ جارحةٌ قدّمها أحد الشيوخ الذين كانوا مقدمين عندنا، وكنا نجلّهم قبل أن يبدلوا تبديلاً؛ حيث كتب في إهدائه الكتاب (المنسوب) إلى ولده -الذي ينضح حقداً وكراهيةً، وغمزاً ولمزاً، وطعناً وجهلاً: (إلى ولدنا البارّ الفارّ، أهدي كتاب ولدي . . . لعلك ترجع إلى الحقّ).

فالله يهدينا وإياه، ويرجعه إلى الحقّ . . .

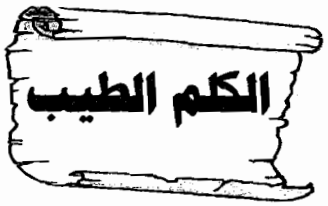

❖الحلقة الثانية

نحو خلافةٍ راشدةٍ على منهاج النّبوة

● بقلم: الشيخ أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي

بصيرة:

لقد تبيّن أن المستقبل لهذا الدين، ولكن ما هي معالم هذا المنهج الذي سيأخذ بيد المسلمين إلى مستقبلهم الزاهر، وتقدمهم الباهر، وانتصارهم القاهر لأعداء الله -بإذن الله-؟؟

أ- إنه منهج على أثر صحابة رسول الله ﷺ؛ يدل على ذلك أمور:

الأول: أن مستقبل الإسلام يتحقق بإعادة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة؛ كما هو صريح في حديث حذيفة.

الثاني: أن الذي حقق مجد الإسلام هو الخلافة الراشدة التي جاءت بعد النبوة، وكانت على منهج النبوة -نفسه-.

الثالث: أن رسول الله ﷺ أخبر بخلافة راشدة بعد النبوة وبخلافة راشدة على منهاج النبوة؛ فتبين: أن مستقبل الإسلام كماضي الإسلام انتصاراً وازدهاراً وانتشاراً.

الرابع: أن الذي حقّق الخلافة الراشدة بعد النبوة هم أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان، إذن فالذي يعيد الخلافة الراشدة على منهاج النبوة هم من كانوا على منهج السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم.

الخامس: أن قتال اليهود في آخر الزمان لن يكون مع الصحابة -رضي

الله عنهم-؛ ولكن كيف صح الخطاب لهم بقوله ﷺ -كما في حديث أبي هريرة وابن عمر-: «لتقاتلن اليهود»؟

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-:

« «قوله: تقاتلكم اليهود» جواز مخاطبة الشخص والمراد من هو منه بسبيل؛ لأن الخطاب كان للصحابة، والمراد من يأتي بعدهم بدهر طويل، ولكن لما كانوا مشتركين في أصل الإيمان ناسب أن يخاطبوا بذلك»[1].

فتبين أن من يأتي ليحقق مستقبل الإسلام هم من كانوا على منهج الصحابة -رضي الله عنهم- حَسْبُ-.

ب- أنه منهج إصلاحي تربوي؛ يدل على ذلك أمور:

الأول: أن منهج الصحابة الذين حققوا الخلافة الراشدة بعد النبوة تربوي إصلاحي، إذاً؛ فمنهج الذين يحققون الخلافة الراشدة على منهاج النبوة إصلاحي تربوي.

الثاني: أن خطاب الحجر أو الشجر للجيل الذي يحقق الخلافة الراشدة على منهاج النبوة يدل على أن منهجهم إصلاحي تربوي: يا مسلم يا عبدالله، ولن تتحق عبودية الله في النفس البشرية إلا بإصلاح وتربية.

الثالث: أن استخلاف المؤمنين والتمكين للدين في الأرض ثمرة للإصلاح والتربية كما جاء ذلك صريحاً في قوله -تعالى-: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:٥٥].

وعد الله المؤمنين بالاستخلاف في الأرض، وبالتمكين لدينهم الذي ارتضى لهم فيها، وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمناً . . . وهو وعد واقع ما له من دافع، ووعد صادق غير مكذوب؛

(١) «فتح الباري» (٦/ ٦١٠).

❖لقد ظهر يقيناً ورأينا عياناً: أنَّ المنهج المؤهل لإعادة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، وتحقيق مستقبل الإسلام المنشود، وقطع دابر يهود، واستئصال شأفة كلّ عدو لدود هو منهج السلف الصالح.

لأنه وعد الله، ووعد الله حقّ، ولن يخلف الله الميعاد: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ﴾.

والاستخلاف وعد الله للعصبة المؤمنة في كل عصر؛ فهي سنة من سنن الله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً؛ ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

وبداية الاستخلاف وآية فهمه: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾.

أمّا أنّ التّمكين بداية الاستخلاف؛ فإنَّ التمكين للدين في تصريف شؤون الحياة وتدبيرها والهيمنة عليها لا يتم إلا بتمكينه في القلوب، فإذا تمكن الدين في قلوب دعاته، وتغلغل في دقائق تصرفاتهم فاعلم عندئذ أن وعد الله قريب.

وأمّا أنَّ التمكين آية فهم الاستخلاف، فإنَّ الاستخلاف يكون لعمارة الأرض على منهج الله، والانتفاع بكل ما أودعه الله فيها من التوجُّه بكل ذلك إلى الله، فالمؤمنون عندما يتمكن الدين من نفوسهم قبل أرضهم أُمروا بالإصلاح والعدل، واستعلَوا على شهوات الأرض، وساروا بالبشرية خطوات ليحققوا منهج الله الذي أراد الله، ولذلك فهم ينشرون الأمن ويجتثون البغي والجور،

فيكون مجتمعهم واحة أمن وأمان وسكينة وطمأنينة . . .

وهنا يبرز أثر العبودية لله من قبل الاستخلاف والتمكين وبعده في قول الله -سبحانه- في الآية نفسها تعليلاً للاستخلاف والتمكين والأمن: ﴿يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾، فهل تحقيق العبودية يكون بعد الاستخلاف والتمكين؟!

والجواب بلا خلاف: أن تحقيق العبودية سبب الاستخلاف والتمكين.

إن للاستخلاف والتمكين تكاليف في ذات النفس وفي واقع الحياة:

للاستخلاف والتمكين تكاليفه في عدم الزهو به والبطر، وفي عدم التراخي بعده، والتهاون في أمر الله.

إن كثيراً من النفوس قد تثبت على المحنة والبلاء؛ ولكن القليل هو الذي يثبت على التمكين والنعماء . . . أليس الابتلاء يكون بالضرّاء والسراء؟!

إنّ ثبات القلوب على الحقّ بعد التمكين منزلة فوق الاستخلاف والتّمكين . . . فهي التي تحميه وتحرسه . . . وهذه هي الحقيقة التي نطق بها القرآن: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

إنه ثبات على المنهج بعد الاستخلاف والتمكين كما ثبتوا عليه من قبل، وهم يلاقون أشد أنواع الابتلاء على يد الكافرين[1].

وبه يتبين أن العبودية سبب الاستخلاف والتمكين؛ فقد وصفهم الله بالإيمان والعمل الصالح قبل الاستخلاف والتمكين، وهي غاية الاستخلاف والتمكين التي وصفهم الله بها، فقال - تعالى-: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِن بَعْدِ

(١) وانظر لزاماً كتابي «الثبات على الإسلام» (ص٤٤-٤٦)-دار المنار.

خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:٥٥].

وأظهر الله نبيه، ومكّن لدينه، فكانوا آمنين . . . لقد تحقق وعد الله مرة، وظل متحققاً وواقعاً ما قام المسلمون على شرط الله: ﴿يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾.

ثمّ غيّروا؛ فغيّر الله ما بهم: ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

إنَّ العبودية حقيقة ضخمة لا بد أن يحققها من يريد الوصول إلى حقيقة وعد الله، ولا بد أن يبحث عن مصداقها في الحياة الإسلامية، وهو يدرك شروطها، قبل أن يتشكك أو يرتاب أو يستبطئ وقوعها.

إنّه ما من مرة سارت هذه الأمّة على منهج الله ليكون الدين كله لله إلا تحقق وعد الله بالاستخلاف والتمكين والأمن: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

وإذا كانت العبودية لله سبب استخلاف وتمكين جيل القدوة الأول محمد ﷺ والذين معه؛ فهي سبب استخلاف وتمكين الطائفة المنصورة الذين هم على ما كان عليه محمد ﷺ والذين معه، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

لقد ظهر يقيناً -ورأينا عياناً- أن المنهج المؤهل لإعادة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، وتحقيق مستقبل الإسلام المنشود، وقطع دابر يهود، واستئصال شأفة كل عدو لدود هو منهج السلف الصالح -المعهود-:

قد هيّؤوك لأمر لو فطنت له

فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

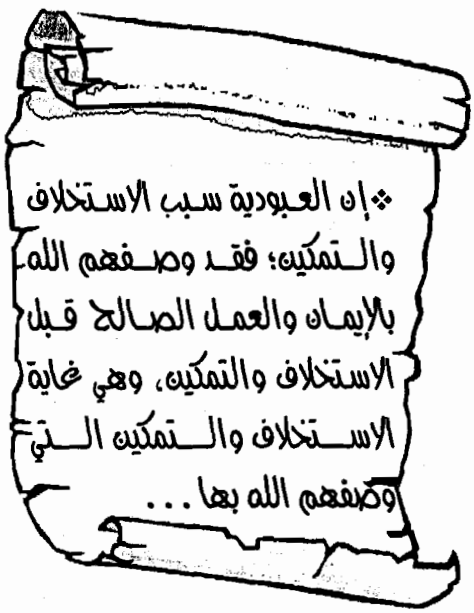

❖الحلقة الأولى

مآخذ منهجية على د. سفر الحوالي

• بقلم: فضيلة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد :

فقد اطلعت على كتاب « ظاهرة الإرجاء» للشيخ سفر بن عبد الرحمن الحوالي؛ فرأيتُه يعيب بعض علماء المسلمين بالتَّناقض، ويصفهم بالإرجاء العملي! ويصفُ المرجئة بالتّناقض، ورأيتُه فيما ظهر لي يُصوب سهام النّقد إلى علماء السُّنّة، ويصفهم بالتّقصير في بيان الحقّ؛ بل بأشدَّ من ذلك؛ فلقد قال بعد تعجبه من حال المرجئة: «فيحق لنا أن نعجب – أيضاً – لأقوام ينتسبون إلى العلم ولا يُقرّون الإرجاء نظرياً، ولكنّهم يجادلون عن أناس وقفوا أنفسهم على حرب الله ورسوله، ومعاداة الدِّين وأهله، وطمس معالم الحقّ والهدى، ومحاربة أحكام الشريعة، وموالاة أعداء الله، وجعلوا ذلك شغلهم الشاغل وعملهم الدائب . . . »، إلى آخر هذا الكلام الذي سيقف عليه القارئ -قريباً-.

ورأيتُه يشيد بمن يصفهم بـ (شباب الصحوة) كثيراً، وذلك يدفع كثيراً منهم إلى الغرور والتّطاول على أهل العلم والحقّ.

ورأيتُه ينال من علماء السُّنَّة، ويرفع مِن شأن سيد قطب؛ فيضعه فوق منزلته

بكثير، ولا ينزّل عليه الأحكام الشرعية التي ينزلها على أشكاله.

فرأيتُ أن أرفع بعض هذا الضيم عن العلماء، وأناقش بعض المآخذ عليه؛ لأنَّ المآخذ عليه كثيرة تحتاج إلى فراغ ووقت طويل؛ لعله يرجع إلى الصّواب، وهذه غايةٌ كبيرةٌ من غاياتنا، وأمنيةٌ عظيمةٌ من أمانينا: أن يرجع المخطئون عن خطئهم، ويثوبوا إلى رشدهم، ونسأل الله لهم ذلك، وأرجو الله أن لا يكون لنا غاية سوى ذلك ، والله يعلم السِّر وأخفى، وإليه المرجع قريباً، والمآب، وهو الّذي عليه الحساب وبيده وحده الرحمة والعقاب.

ولْيعلم القارئ الكريم أنني أرسلتُ هذه المناقشة إلى الشيخ سفر؛ إكراماً له، وستراً عليه؛ لعله يراجع ويصلح ما هوى منه، ويسد ما فيه من خلل؛ حتى يكون كتاباً نافعاً لطلاب العلم، بعيداً عمّا يضرهم؛ ولكنّه مع الأسف لم يتجاوب معنا رغم انتظار طويل، وكان الأجدرُ به أن يفرح بهذه النّصيحة، ويعتبرها هديّة ثمينة، أخذاً بتلك الحكمة: «رحم الله من أهدى إلي عيوبي»، فألجئتُ إلى نشر هذا الرَّد بياناً للحق، ونصراً للمظلومين، ووضعاً للأمور في نصابها.

واللهَ أسأل أن يوفقنا جميعاً لتقبل الحقِّ ونصرتِه، ولرد الباطل كائناً من كان مصدره، إن ربنا لسميع الدعاء.

هذا وإن الشيخ سفر ليلهج كثيراً بذكر (منهج أهل السنة والجماعة)، ويذكر مزاياه، ويذم أهل البدع ومنهم المرجئة، ويذم التناقض، وهذا أمر جيد لولا ما وقع فيه من تناقض، ومن إخلال بالمنهج السلفي.

فلْنعرِض بعض كلامه وما عليه من مآخذ، ولم نيأس من رجوعه إلى الحق، وندعو له بالتوفيق.

وقد بيّن الشيخ سفر الحوالي في كتابه «ظاهرة الإرجاء» :

١- أن الإسلام هو دين الفطرة القويمة، أنزله الله متسقاً مع حقيقة الإنسان مستوعباً كل نشاطه وحركته - همّاً وحرثاً وفكراً وعملاً-، ومن ثم جاء منهجاً متكاملاً لإصلاح النّشاط

الإنساني -كله-: إصلاح الخواطر والأفكار، والاعتقادات الحقة، والإرادات الصحيحة، والنية الخالصة، وإصلاح الأعمال بأنواع الطاعات والبر والمعروف.

٢- وتكفّل ببيان ضد ذلك من الاعتقادات الباطلة، والإرادات الفاسدة، والأعمال السيئة، والتحذير منه.

٣- وكما أن الإنسان لا يمكن أن يكون همّاماً ولا يكون حارثاً؛ فإنّ الإيمان لا يمكن أن يكون اعتقاداً ولا يكون عملاً.

٤- ومن هنا نستطيع أن نتبين أي المذهبين في الإيمان هو الحقّ؛ مذهب أهل السنة والجماعة أم مذهب المرجئة؟

٥- ومعيار الحكم في هذا يبدأ من أصل الخلاف، وهو اختلافُ مصدَرَيِ التلقي والاستمداد عند الفريقين.

فمن يستقي من مصدر الوحي المعصوم فضروري أن يكون مذهبه هو الحقّ المتفق مع حقيقة الإنسان تبعاً لما تقرر من اتفاق دين الله ووحيه مع خلقه وفطرته.

ومن يستقي من مصدر آخر -أياً كان- فلا بد أن يقع في التناقض وأن يصادم حقيقة الإنسان تبعاً لمخالفته صريح القرآن . . .

٦- ثم قال : «حقاً لقد جهدت كثيراً لكي أعثر على وجهة نظر القوم في هذه القضية الكبرى بلسان مقالهم لا بلسان حالهم، وتساءلت: أيستطيع هؤلاء أن يلتزموا القول : بأن المؤمن على زعمهم مصاب بانفصام الشخصية فهو يعتقد غير ما يعمل ويعمل غير ما يعتقد».

ثم علّق على هذه الفقرة بقوله :

« والواقع أنه حتى انفصام الشخصية لا ينطبق على ما يعتقده المرجئة؛ لأنّ السّلوك المتناقض فيه نتيجة شخصيتين قائمين فعلاً في شخص واحد بالتعاقب».

٧- ثم قال : «كيف يجيبون على كثير من الأسئلة البدهية التي يفجؤهم بها مناظرهم قبل الدخول في تفصيلات النقاش العلمي والخوض الجدلي مثل : كيف يمتلئ القلب بالحب

((والعجب حق منك يا (سفر) ومن (شباب الصحوة) كيف تقدسون وتعظمون من يقول بالحلول، ووحدة الوجود، ويطعن في بعض الأنبياء وفي أصحاب محمد ﷺ، إلى بدع كبرى أخرى أشد بكثير من انحراف الحكام الذين تكفرونهم؛ لأن هؤلاء انحرفوا في الجانب السياسي من الإسلام، والذين تعظمونهم منحرفون في أصول الدين وأساسياته. ونحن نبرأ إلى الله من انحراف الطائفتين، ونزن انحراف كل منهما بميزان الشرع، ولا نفرط ولا نضطرب عندنا الموازين والمكاييل ولا نتردد في تكفير من ظهر منه الكفر البواح)).

وتعمل الجوارح أعمالاً كلها عداء وانتقام؟!

وكيف يمتلئ القلب بالرحمة، وتعمل الجوارح أعمالاً كلها تكذيب وإعراض؟!

وكيف يمتلئ القلب بالتقوى وتعمل الجوارح أعمالاً كلها فجور وآثام».

ثم علَّقَ على هذه التساؤلات بقوله:

«إذا كان مذهب المرجئة – أو لازم قول بعضهم وإن لم يلتزم به – وهو عجيب فيحق لنا أن نعجب – أيضاً – لأقوام[1] ينتسبون إلى العلم ولا يقرون بالإرجاء نظرياً ، ولكنهم يجادلون عن أناس[2] وقفوا أنفسهم على حرب الله

(١) التعليق: معلومٌ هؤلاء الأقوام، ولقد ظلمتهم وبالغت في الحطّ عليهم، فإنهم يكفّرون من يستحق، وقد كفّروا من رأوا منه كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان على منهج الرسول ﷺ والسلف الصالح، لا على منهج الخوارج!

(٢) التعليق: وهؤلاء الأناس أيضاً معلومون، ومعلوم -أيضاً - أن عندهم معاصي لا يقرها من ترى أنهم يجادلون عنهم، ويحرمونها أشد التحريم من منطلق علمي ديني لا منطلق سياسي يستغل الأحداث .

ثم إن هؤلاء الأناس الذين تعنيهم بالدرجة الأولى لم يَصِلُوا إلى هذه الدرجة إذا كنت تزن الناس وأعمالهم بكتاب الله وسنة رسولهﷺ؛ ذلك بأنهم يعتزّون بالإسلام ويعظّمون عقائده وشعائره، والرسول ﷺ يقول:

«أطيعوهم ما أقاموا فيكم الصلاة»، ويأمرنا بالصبر عليهم وهو يخبر بأنهم لا يهتدون بهديه.

والعجب -حقٌّ- منك يا (سفر) ومن (شباب الصحوة)؛ كيف تقدسون وتعظمون من يقول بالحلول، ووحدة =

ورسوله، ومعاداة الدّين وأهله، وطمس معالم الحقّ والهدى، ومحاربة أحكام الشريعة، وموالاة أعداء الله، وجعلوا ذلك شغلهم الشاغل، وعملهم الدائب، وهمهم الأكبر، ولا يشذ عنه إلا أعمال من التّلبيس يذرون بها الرَّماد في العيون، وقد كان أهل الجاهلية الأولى يتنسكون بمثلها أو أكثر منها ، وقد قال الله -تعالى-:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً وَاسْتَغْفِرِ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً﴾». [النساء:١٠٥-١٠٧]

قد يصاب القارئ بالدهشة إذا قلت: إن ما عاب به الشيخ (سفر الحوالي) هذه الفرقة من تناقض وغيره قد وقع هو أيضاً فيه!! وكذا من يوالهيم من أتباع سيد قطب واقعون في تناقضات عجيبة وأمور غريبة!!

= الوجود، ويطعن في بعض الأنبياء وفي أصحاب محمد ﷺ . . . إلى بدع كبرى أخرى أشد بكثير من انحراف الحكّام الذين تكفرونهم؛ لأن هؤلاء انحرفوا في الجانب السياسي من الإسلام، والذين تعظمونهم منحرفون في أصول الدين وأساسياته. ونحن نبرأ إلى الله من انحراف الطائفتين، ونزن انحراف كل منهما بميزان الشرع، ولا نفرط ولا تضطرب عندنا الموازين والمكاييل، ولا نتردد في تكفير من ظهر منه الكفر البواح.

ثم العجب أشد العجب من مواقف شباب الصحوة من حكام منحرفين في عقائدهم وأعمالهم وسياستهم فيبلغ بهم الاستهتار أن يعقدوا مؤتمرات لوحدة الأديان، ويشيدوا الكنائس، ولا يطبقوا الشريعة في الجانب السياسي، ومن مواقفهم ممن يعقد اتفاقيات عسكرية وسياسية مع اليهود، وممن يتعاون مع الشيوعيين والروافض الباطنية في حرب شعب مسلم.

فما هي مواقف الصحوة من هؤلاء وأمثالهم من هذا النوع من الحكّام؟ لا نعرف عنهم إلا موالاتهم والذّب عنهم، وارجع إلى مجلة «البيان» و «المجتمع» وغيرهما من الوسائل التي تبين مواقف شباب الصحوة وقادتهم، نريد من (سفر) أن يبيّن حكم الله في هؤلاء، ويجري مقارنات عادلة بين عقائد وأعمال ومواقف من يطعن فيهم ويرميهم بالإرجاء، وبين عقائد وأعمال ومواقف الصحوة التي يعتز بها وبأهلها، ويجري مقارنات بين الحكّام الذين يكفرهم (سفر) وتكفرهم (الصحوة) ولا يكفرهم (السلفيون)، وبين الحكّام الذين تتولاهم (الصحوة) وحالهم ما شرحناه آنفاً، ثم يبيّن أي الفريقين أولى بالإرجاء، وما هو شر من الإرجاء مع التعهد بالتزام الحقّ والعدلِ، وتجنب الضجيج والصراخ بالباطل والرمي بالبهت.

وللقارئ المنصف أن يسأل الشيخ سفراً:

○ما هو موقفك السلفي الغيور من مؤلفات سيد قطب وما حوته من الضلال؟! لا سيما وهي تنتشر في العالم كلّه بشتى اللغات، وتطبع عشرات الطبعات، وغالب من يتربى عليها الشباب؛ وبخاصة الشباب الذي اتجه إلى الاهتداء بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، فصرفهم أولياء سيد قطب عن هذا الاتجاه الصحيح إلى التربية على كتب سيد قطب، والكتب التي سارت على منهجه ككتب الراشد، والمودودي، ومحمد سرور، وأمثالهم فكانت النتائج مُرّةً جداً، والفواجع رهيبة وعظيمة.

○ما هو موقفك من تقرير سيد قطب لوحدة الوجود والحلول ومدح أهلها؟!! ولم ينتقدهم على وقوعهم في هذا الإلحاد، وإنما انتقدهم لأنهم لم يهتموا بالحياة أي: بالسياسة، وذلك أعظم بمراحل من ضلالة الإرجاء.

○ ما هو موقفك من تعطيله لصفات الله -عز وجل- وأخذه بمذهب الجهمية الذين هم شر وأخطر على الإسلام من المرجئة؟!!

○ما هو موقفك من قوله بوحدة الفاعلية؛ وهو شر من الإرجاء؟!

○ما هو موقفك من ذمّه لنبي الله موسى - عليه السلام -؟! وهل الله -تبارك وتعالى- ثم الصحابة والتابعون لهم بإحسان يعتبرون تلك الأوصاف التي وصف بها هذا النبي العظيم مدحاً أو ذماً ؟!!!

وهل موسى -صلوات الله وسلامه عليه - أحد أهل العزم من الرسل- يعتبر هذه الأوصاف مدحاً له فيهشّ لها؟! أو يراها قدحاً وعيباً وتنقصاً؟؟!

○ما هو موقفك من طعن سيد قطب في معظم أصحاب رسول الله ﷺ ومعظم التابعين خير القرون؟!

ولا سيما طعنه في الخليفة الراشد عثمان، وإسقاط خلافته، وادعاؤه عليه بأنه قد تحطمت روح الإسلام في عهده... وتحطمت أسس الإسلام في

عهده، إلى آخر الطعون التي وجهها لهذا الخليفة الراشد، وعدالته، وإنصافه، وحكمه.

○وما موقفك من طعنه في الصحابيين الجليلين معاوية وعمرو، ورميه لهما بالكذب، والنّفاق، والخيانة، والغش، والرشوة، وشراء الذمم، . . . ورميه لكثير من أهل عصرهما وعصر عليٍّ بالارتداد إلى الهوة التي انتشلهم منها الإسلام؟!!

فإن قلت : لا شك أن هذه ضلالات وفيها كفريات يتضاءل أمام أكثرها ضلال الإرجاء.

قلنا : فأين موقفك السلفي منها ؟!!

الجواب : لا شيء؛ بل لا نرى أو نسمع إلا المدح والتّعظيم والتّبجيل لحامل تلك الأباطيل!!!

وللبحث بقية . . .

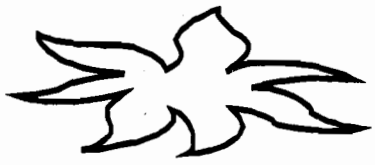

قال الإمام محمد بن الحسين الآجري -رحمه الله-:

«. . . فرضي القوم بعثمان بن عفان -رضي الله عنه-، فبايعه علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وسائر الصحابة، لم يختلف عليه واحد منهم لعلمهم بفضله، وقديم إسلامه، ومحبته لله ولرسوله، وبذله ماله لله ولرسوله، ولفضل علمه، ولعظيم قدره عند رسول الله ﷺ له، لا يشك في ذلك مؤمن عاقل، وإنما يشك في ذلك جاهل شقي، قد خُطِيَ به عن سبيل الرشاد، ولعب به الشيطان، وحُرِمَ التوفيق».

[«كتاب الشريعة» (٤/ ١٧٤٦)]

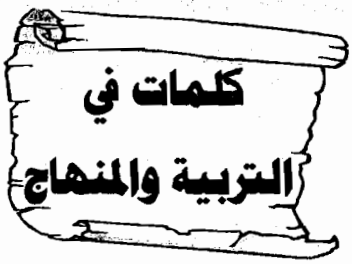

الـبـغـاث...

• بقلم: الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثريّ

من مشهور أقوال العَرَب: «إنَّ البُغاث بأرضنا يستنسر»، يريدون بها -كما في «القاموس»-: (مَن جاورنا عزَّ بنا)، لما هم فيه من عِزٍّ، وخيرٍ، وفَضْلٍ؛ إذ (البُغاث) -في الأصل- شرارُ الطير؛ بما لا يُلتفت -فيه- إليه، فلا يجتمع الصيدُ عليهِ! إلا بقربه ممّن لهم قيمةٌ، أو وزنٌ، أو ثِقَلٌ!!

ولقد كنّا نسمع -كثيراً- من شيخنا أسد السنة الهُمام العلامة الإمام أبي عبدالرحمن محمد ناصر الدين الألباني -تغمده الله برحمته- هذه المقولةَ على معنىً آخر - يكررها دائماً- على وجه التواضعِ؛ لمّا يمدحُه أحدٌ، أو يُثني عليه أحد-، فإذا به يقول - والدّمعُ يملأ مآقيَهُ - أحياناً-: (إنّ البغاث بأرضنا يستنسر)؛ يُريدُ بذلك ضَعْفَ أحوال الناس، ونُدرةَ عُلمائهم؛ بما يجعلُ مَن ليس عالماً- في ضمن هذا الإطار- عالماً. . . وأيُّ عالم!!

ولئن كان شيخُنا الهُمام الإمام -تغمّده الله برحمته- يكرّر هذه الجملة- بحُرقةٍ، وعلى سبيلِ التواضع؛ فإنَّ معناها (الحقيقي) -فينا- منظورٌ واقع، ما له من دافع:

فكم مِن بُغاث لضعفِنا يستنسر علينا؟!

وكم مِن بُغاثٍ لا وزن له يعلو بثقلِه فوقنا؟!!

وكم مِن بُغاثٍ بُغاثٍ نستنجد منه - بعض الخلق- ولا نُغاث؟!

وكم من بُغاثٍ (يستأسِدُ) علينا؛ فوق الأرضِ، وعلى الأرض، وبالطولِ وبالعرض؟!

كم مِن بُغاثٍ ينقضُّ علينا؛ بهذيانهِ، وبهتانهِ، وصولجانهِ . . دونما برهانهِ؟!

. . . بل لقد اجتمعت (البغْثان)[1] -كلُّها- من شتّى الأنحاء، وبلا امتراء، على شرّها وشررِها؛ تنتظر قسمةَ الغنيمة، وتوزيعَ الإرثِ؛ كلٌّ بنصيبهِ، على حَسَب تبعيده أو تقريبه!!

ولكنْ؛ أنّى لهم ذلك؟! إنّه حُلْمٌ (لهم) جميل؛ لكنّه -في النهاية- كابوسٌ مزعجٌ ثقيل، ومزعجٌ جداً، سَرَعان ما يستيقظون منه؛ فإذا هم -على ما هم عليه- في قُمامات الدّنيا، وعلى مزابل التاريخ . . .

عاشوا على غير الحقّ . . وماتوا على ما عاشوا عليه . . .

عايشوا البدعة، والضلالةَ . . فوافَتْهُم المنيّةُ على ذلك . . .

عاشروا أهلَ الجهالة . . . فماتت قلوبُهم قبل الموت . . .

أمّا أهلُ الحقّ، والسنة، والعلم . . . فلن تضرَّهم فعائلُ (هؤلاء) وإن تنوّعت، ولن تَفُلَّهم جموعُ (أولئك) وإن كثُرت . . .

وسيظلّون على ما هم عليه، عملاً دائباً، وعلماً رائداً، وهدياً قاصداً . . .

والبُغاث مهما استنسر، فهو بُغاث، لن يَعْدُوَ قَدْرَه . . . بُغاث الأحداث بالإحداث . . .

بُغاثٌ بُغاثٌ بُغاثٌ بُغاثْ
من الشرِّ فيهم فَلَسْنا نُغاثْ . . .

(١) قال في «القاموس»: وجمع (بُغاث): بغثان، على وزن (غِزلان).

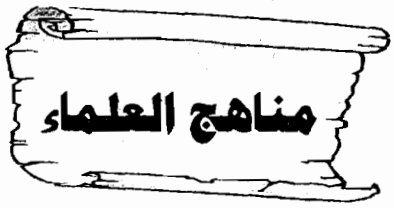

❖الحلقة السادسة والأخيرة

أثر الشاطبي في الإصلاح والمصلحين

● بقلم: الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

سبق أن قررنا أن الشاطبي -في جُملتِهِ- مصلح سلفي، وله بواعث ودوافع في الإصلاح، وأظهر أثر ذلك في مجالات متعددة، ألقينا عليها أضواء، وعملنا على إبراز نظريته في كل من المجال الخُلُقي، والتربوي، والسياسي، ونختم حديثنا عن نظرية الشاطبي في الإصلاح ببيان أثرها في الإصلاح والمصلحين، مكتفين بإشارات سريعة، فنقول:

ظهر أثر الشاطبي على ثلّة من المصلحين في العالم الإسلامي بجناحيه: المشرقي والمغربي، وكان لهؤلاء بالغ الأثر في الإصلاح السلفي المعاصر، ولا سيما في (منهج التلقي) و (محاربة البدعة) والموقف من (الفرق الضالة) و(الصوفية)[1]، الذين حسَّنوا الظن بمشايخهم دون النصوص التي فيها عصمة، فأخذوا بالظن، وتركوا اليقين.

واستفاد هؤلاء المصلحون من الشاطبي في وقت اغتر الناس فيه بالحضارة الغربية، ونمط حياتها، واختلط عليهم النافع منها بالضار، وأصبح الدين فيهم -إلا من رحم الله- غريباً، وانعدم فيهم العلم الشرعي الصحيح، وانتشرت البدع والخرافات، وساعدهم على هذه الاستفادة الأصول العظيمة التي أصّلها الشاطبي حول (المقاصد) و(البدع)، فوجدوا كليات نافعة،

(١) لا تنس ما قدمناه من أثر للشاطبي على بعض الصوفية المتأخرين، كالشيخ زرّوق وغيره.

❖لا بدَّ من التنبيه على أن كثيراً من البعيدين عن الجادة، والمحاربين للدعوة السلفية يتعلقون بكلام الشاطبي ويأتون به في معرض (التجديد) والكلام على (ما أصاب المسلمين من ركود وتخلف وجمود)، ويخرجون بـ (نتائج) و(أحكام) عجيبة غريبة، ويمكن تسمية صنيعهم هذا بـ (التلبيس المقلوب).

فأخذوها وبنوا عليها، وعالجوا من خلالها الأمراض والخلل الواقع في الفهم والممارس في ميادين الحياة.

وقد تفطن إلى هذا غير واحد من الباحثين والعلماء المعاصرين؛ فها هو الدكتور عبدالمجيد تركي[1] يعد الشاطبي اليوم من دعائم الصحوة الإسلامية، وأنه عمل على تحريكها في اتجاهيها اللذين نأخذ بهما الآن، وهما:

الأول: الاتجاه السلفي بالنسبة للحياة العامة.

والآخر: اتجاه التعليل بالمقاصد الذي أصبح يسود الدراسات الشرعية.

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بعد كلام:

«أما الكتاب الآخر وهو كتاب «الاعتصام» الذي هو ثمرة كفاح الشاطبي في تقويم الدين وقمع البدع، فقد كان -أيضاً- باعِثاً من أقوى بواعث النهضة الإسلامية الحاضرة، استندت إليه الحركة السلفية في المشرق والمغرب منذ أخرج للناس العلامة المرحوم السيد محمد رشيد رضا من مطبعة المنار سنة (١٣٣٢هـ)، فكان فيض بيانه المتدفق، برداً وسلاماً على القلوب المتحرقة من سوء مآل العالم الإسلامي، لما حيك في نفوس المسلمين من زينة البدع»[2].

وقد كشفنا في تقديمنا لـ «الموفقات»[3] مدى تأثر محمد عبده وتلاميذه محمد

(١) في كتابه «مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية» (ص٥١١).

(٢) «أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي» (ص٧٦).

(٣) انظره (١/ ٣٦-٤١).

رشيد رضا ومحمد الخضري، بالإمام الشاطبي[1]، وكذا من تأثر بمدرسة المنار كمحمد أبو زهرة وغيره.

أما إذا جئنا إلى المغرب العربي، فنجد رائدين من رواد الإصلاح العلمي والاجتماعي، والسياسي، قد تأثرا تأثراً واضحاً بصاحبنا الشاطبي، هما: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور[2]، والزعيم علال الفاسي[3] -رحمهما الله تعالى-، ويدور تأثرهما على محورين اثنين هما: الناحية العلمية، والناحية المنهجية، وقد قامت دراسات خاصة في ذلك، نحيل من رام الاستزادة إليها، إذ الإسهاب والبسط ليس هذا موضعه، ولكن لا ننسى في هذا المقام ما قاله الدكتور حمادي العبيدي[4] بعد أن ألمح إلى تأثر المعاصرين المذكورين بالشاطبي؛ قال:

«وإذا أردنا أن نوازن بين درجات التفاعل مع أفكار الشاطبي عند هؤلاء المصلحين الذين ذكرناهم؛ فإننا نرى أن (علال الفاسي) هو الذي نقل تلك الأفكار إلى المجال الذي تجري فيه (الصحوة الإسلامية) المعاصرة، سواء في موقفها الداخلي ودعوتها إلى النهوض بالعالم الإسلامي، أو في موقفها الخارجي من الحضارة الغربية والاقتباس منها.

وهكذا يتضح أن الشاطبي ما يزال يعيش بيننا بفلسفته في المقاصد وآرائه الإصلاحية، وأن رجال العلم والفكر في العالم الإسلامي يجدون فيها معيناً لدعوتهم إلى الإصلاح والتجديد على أسس من القيم الإسلامية الثابتة».

والواقع أن هذا الاتجاه في النهوض بالعالم الإسلامي على أساس فكر أصيل يستمد من ينابيع المقاصد الشرعية قد ظهر نتيجة التصادم مع حضارة الغرب

(١) أكثر ما ظهر ذلك تأثرهم بكتاب «الموافقات» .

(٢) تجد تفصيلاً في تأثير ابن عاشور بالشاطبي في: «مناظرات في أصول الشريعة» (٨٩، ٤٧٦، ٤٧٧) و «نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور» لإسماعيل الحسيني، وكذا من قرأ «الموافقات» بتأمل، و «مقاصد الشريعة» لابن عاشور يجد ذلك واضحاً جلياً.

(٣) تأثر علال بالشاطبي في كتابيه: «مقاصد الشريعة» و «دفاع عن الشريعة»، وانظر ما سيأتي قريباً.

(٤) في كتابه «الشاطبي ومقاصد الشريعة» (٢٨٤).

المادية، وحماية للمسلمين من فتنة الأفكار المستوردة التي لا تتلاءم مع مقتضيات حضارتهم وأصول دينهم الحنيف[1].

وفي الختام؛ لا بدَّ من التنبيه على أن كثيراً من البعيدين عن الجادة، والمحاربين للدعوة السلفية يتعلقون بكلام الشاطبي[2]، ويأتون به في معرض (التجديد) والكلام على (ما أصاب المسلمين من ركود وتخلف وجمود)، ويخرجون بـ (نتائج) و(أحكام) عجيبة غريبة، ويمكن تسمية صنيعهم هذا بـ (التلبيس المقلوب)!!

فهاهو مثلاً (محمد عابد الجابري) يذهب في مقالة نشرت في مجلة «العربي» (عدد ٣٣٤، سنة ١٩٨٦م، ص ٢٥-٢٩) بعنوان «رشدية عربية أم لاتينية؟!» إلى أن الشاطبي في كتابه «الموافقات» يُعد عقلانياً، وها هو (راشد الغنوشي) (يحتج) بكلام للشاطبي في كتابه «الحريات العامة في الدولة الإسلامية» في مواطن كثيرة، وكأني به يقرر أن الشاطبي «اعتبر المصلحة هي أساس الشرع»، وهذا ما يلبِّس به كاتب آخر؛ هو (حسن حنفي) من خلال ذكره لهذه القاعدة ذات البريق الجذاب[3].

لقد ذهلت بعد مطالعتي لكتاب الغنوشي «الحريات العامة في الدولة الإسلامية»؛ فهو يقرر فيه أحكاماً وقواعد وينسبها للشرع، ويتعلق بعد هذا كله بالأصوليين وعلى رأسهم إمامنا الشاطبي -رحمه الله تعالى-، وهو في كتابه هذا يوافق نظرة الغرب حول الحرية وحول المرأة[4].

وأخيراً . . . نَضَّر الله وجه الشاطبي، ما أبهاه بين وجوه المصلحين المجددين الأفذاذ، وما أجلّ ما قدّم، وما أكرم ما دعا إليه من التمسك بالصراط السوي، والهدي النبوي[5].

---

(١) انظر «مناضرات في أصول الشريعة الإسلامية» (ص٥٠٧).

(٢) لا سيما في كتابه «الموافقات» .

(٣) انظر: «تزييف الإسلام وأكذوبة الفكر الإسلامي المستنير» (ص٩٥) لمحمد إبراهيم مبروك، نشر دار ثابت – القاهرة.

(٤) انظر تفاصيل الرد عليه في (المجموعة الثانية) من كتابي: «كتب حذر منها العلماء»، يسر الله نشره بخير وعافية.

(٥) على ما أُخذ به، وانتُقد عليهِ في بعض مسائل العقيدة، كالأسماء والصفات، والتحسين والتقبيح العقليّين.

حول كلمة (وهابي)

بقلم: الشيخ العلامة مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله-

يقول الله -سبحانه وتعالى- في كتابه الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦]، في هذه الآيات المباركة تبشير من الله -سبحانه وتعالى- أن من كان يعمل لله -عزّ وجلّ- فإن الله يبقيه وينميه ويبارك فيه، وأن من كان يعمل لغير الله فإنه ليس له من قرار، يمحقه الله -سبحانه وتعالى-، وهذا واقع كما أخبر الله -سبحانه وتعالى-؛ فإذا نظرنا إلى بعثة نبينا محمد ﷺ وإلى ما أرجف الكفار وأعداء الإسلام على نبينا محمد ﷺ، ثم كانت العاقبة للتقوى، وهكذا بعد نبينا محمد ﷺ إلى زماننا هذا -الذي يعتبر زمن الفتن- فتنٌ شتى لا يعلم كثرتها إلا الله -سبحانه وتعالى-، في هذا الزمن المخلوط بالشرك وبما يسوء المسلمين هناك نهضة مباركة في جميع البلاد الإسلامية، وعجز أعداء الإسلام أن يواجهوا هذه النهضة المباركة التي الفضل فيها لله -عزّ وجلّ- فهو الذي بارك فيها ونّماها وسدّدها.

ثم عمد أعداء الإسلام إلى التنفير عن النهضة المباركة بألقاب شتى

ليصرفوا المسلمين عن هذه النهضة المباركة، وعن هذه اليقظة المباركة.

ونحن متكلمون -إن شاء الله- على لقب واحد، وإن كان -بحمد الله- كثير من الإخوة لا يعلم هذا؛ ولكن من باب: ليبلغ الشاهد الغائب؛ فإن النبي ﷺ كان يقول: «ليبلغ الشاهدُ الغائب»، ويقول: «نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلّغها».

تلكم الكلمة الخبيثة التي يشيعها الشيوعيون، والبعثيون، والناصريون، والرافضة، والصوفية المبتدعة؛ يشيعونها في مجتمعاتنا ليصدوا الناس عن سنة رسول الله ﷺ؛ ألا وهي كلمة (وهَّابيَّة)، فمن تمسّك بسنة رسول الله ﷺ نفّروا عنه وأطلقوا عليه ذلكم اللقب لينفّروا عنه.

وينبغي أن يُعلم أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله تعالى- من علماء القرن الثاني عشر، عالم يصيب ويُخطئ، ولو كنا مقلديه لقلدنا عالمنا اليمني محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني -وقد كان معاصراً له- فهو أعلم من الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ ولكن الشيخ محمد بن عبدالوهاب أيد الله دعوته بالسلطة، وانتشر علمه، ومحمد بن إسماعيل الأمير الذي ملأ الدنيا مؤلفات، وانتفع المسلمون بكتبه حطَّمه اليمنيون، وأرادوا إخراجه من صنعاء.

تلكم الكلمة التي يُنفَّر بها عن سنة رسول الله ﷺ، ويصد بها عن سنة رسول الله ﷺ يجب عليكم أن تتأنّوا في شأنها، وأن تنظروا ما معناها؟

نسبةٌ إلى عالم من العلماء، ليست نسبة إلى (ماركس)، وليست نسبة إلى (لينين)، وليست نسبة إلى (أمريكا)، وليست نسبة إلى (روسيا)، وليست نسبة إلى زعماء أعداء الإسلام، على أننا لا نجيز لمسلم أن ينتسب إلا إلى الإسلام، وإلى نبينا محمد ﷺ.

ينبغي أن تتأنّوا في هذا الأمر؛ فسليمان -عليه السلام- عندما أخبره الهدهدُ بما تفعل ملكة سبأ وقومها: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل:٢٧]، ورب العزة

يقول في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات:٦]، نتكلم بهذا ليس لأجل أهل السنة والدين (بدَّماج)[1]؛ فإن دعوتهم بحمد الله مقبولة؛ ولكن هذه الدعاية قد أصبحت بأرض الحرمين، وبمصر، والسودان، وبالشام، وبالعراق، وبجميع البلاد الإسلامية؛ مَن كان متمسكاً بالدين قالوا: ذاك وهابي!

ورب العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، ونبينا محمد ﷺ يقول -كما في «صحيح مسلم»-: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرّات- بحسب امرئ من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ؛ دمه وماله وعرضه».

نحن نحذر عن هذه الدعاية شفقة ورحمة بإخوانهم العامة من أن يسيئوا الظن بإخواننا الدعاة إلى الله -عزّ وجلّ-، وأن يؤذوا إخوانهم الدعاة؛ فإن الله -عزَّ وجلَّ-

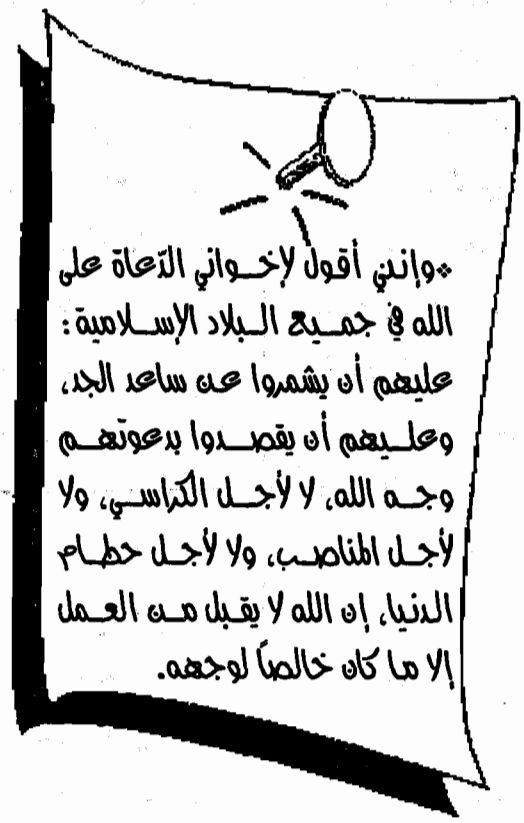

(١) هي المكان الذي أقام فيه الشيخ مقبل -رحمه الله- مركزه العلميّ -في اليمن-.

يقول في كتابه الكريم: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾ [الأحزاب:٥٨]، والأمر كما قيل: (رمتني بدائها وانسلّت)، الأمر -كما قيل- أن الشيوعي، والبعثي، والناصري لهم من يدعمهم، بخلاف أهل السنة والدعاة إلى الله، وربّ العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾. [النساء:١١٢]

وإنني أقول لإخواني الدّعاة إلى الله في جميع البلاد الإسلامية: عليهم أن يشمروا عن ساعد الجد، وعليهم أن يقصدوا بدعوتهم وجه الله، لا لأجل الكراسي، ولا لأجل المناصب، ولا لأجل حطام الدنيا، إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، الدعوة إلى الله أرفع من الكراسي، وأرفع من المناصب، وأرفع من حطام الدنيا؛ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾. [فصلت:٣٣]

نعم؛ ربُّ العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لا يَرْجُونَ﴾ [النساء: من الآية١٠٤]، أنتم عندكم كتاب الله، وعندكم سنة رسول الله ﷺ، وأعداؤكم من شيوعيين، ومن بعثيين، ومن ناصريين، ومن رافضة، ومن صوفية، دعايتهم مبنية على الكذب، دعايتهم مبنية على التلبيس، دعايتهم مبنية على الخيانة، الدعاة إلى الله ليس لهم ناصر إلا الله -سبحانه وتعالى-، وكفى بالله نصيراً، ويقول -تعالى- في كتابه الكريم مُثبّتاً لعباده المؤمنين: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٩-١٤٠]، ويقول -سبحانه وتعالى-: ﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد:٣٥]؛ لكن ينبغي ألا تكون الدعوة دعوة

ثورات، ودعوة انقلابات؛ فإنّها تفسد أكثر مما تصلح، تكون دعوة المسلمين إلى كتاب ربّهم وإلى سنة نبيهم محمد رسول الله ﷺ.

ويقول الله -تعالى-: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ [الإسراء:٨١]، في هذه الآية المباركة أيضاً تبشير من الله -سبحانه وتعالى- على أن الباطل لا يستطيع أن يثبت أمام الحق، ويقول -تعالى-: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]، فنحمد الله -سبحانه وتعالى- الذي أيقظ قومنا اليمنيين خاصة، وأيضاً غير اليمنيين بنجد، وبأرض الحرمين، وبمصر، وقد أصبح كثير منهم لا يرفع رأساً إلى هذه الدّعاية الخبيثة التي هي نسبة إلى عالم من العلماء أثنى عليه علماء الإسلام، يقول محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني -رحمه الله- في محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله-:

لقد جاءت الأخبار عنه بأنه
يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهراً ما طوى كل جاهل
ومبتدع منه فوافق ما عندي
ويعمر أركان الشريعة هادماً
مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
أعادوا بها معنى سواع ومثله
يغوثَ وَوَدّ بئس ذلك من وَدّ
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها
كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم عقروا في سوحها من عقيرة
أهلت لغير الله جهراً على عمد
وكم طائف حول القبور مقبّلٌ
ومستلمُ الأركان منهن بالأيدي

على الدّعاة إلى الله أن يثبتوا على الحق، وقد قلنا في غير ما درس وفي غير ما خطبة: إنه كذب وافتراء أن ينسبونا إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فإننا لا نرضى أن ننتسب إلا إلى رسول الله ﷺ الذي هو شفيعنا وحبيبنا، وأخرجنا الله -سبحانه- به من الظلمات إلى النور، فتلكم الدعايات ستزول؛ فالنبي ﷺ لُقب بالصابئ، أي: الخارج من دينه إلى دين آخر، أما نحن فلم نخرج من ديننا إلى دين آخر، ولم نكفّر آباءنا،

وأجدادنا كما يزعمون! ولم نكفّر الأولياء -أيضاً- ولم نبغض أهل بيت النبوة، فقد تكلمنا في غير ما خطبة في فضائل أهل بيت النبوة، ولم نبغض الصالحين، ولم نكفّر مجتمعنا الذي نعيش فيه، ولم نستجز الخروج على حكومة مسلمة، فليبلغ الشاهدُ الغائبَ، وبعدها تذوب وتكون تلكم الدعايات سبباً لانتشار السنة، يقول -سبحانه وتعالى- في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾. [النور:١١-١٢]

إذا سمعت رجلاً يقول: (ذاك وهابي) فاعلم أنه أحد رجلين: إما خبيث مخبث، وإما جاهل لا يعرف كوعه من بوعه، فرية كبيرة على الدعاة إلى الله، وربّ العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور:١٩]، سمّانا الله مسلمين، ونحن أمة محمد ﷺ لا نرضى بمحمدٍ ﷺ بديلاً، لا نرضى أن ننتسب إلى شافعي، ولا إلى زيدي، ولا إلى وهابي، ولا إلى غير ذلك، ذلكم العالم الجليل الذي يزعمون أنهم يسيئون إلى من انتسب إليه.

أنصح كل أخ في الله أن يقرأ كتابه «كتاب التوحيد» لتروا آية قرآنية، وحديثاً نبوياً، ذلك الكتاب العظيم على أن فيه بعض الأحاديث الضعيفة؛ ولكن لا تضر فقد بُينت في «النهج السديد»، انظروا «ولا تكونوا إمّعة، تقولون: عن أحسن النّاس أحسنّا، وإن ظلموا ظلمنا؛ ولكن وطّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا».

والله المستعان.

الحقُّ واضحٌ

•بقلم: د. حمد العثمان

قال الله -عزّ وجلّ-: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾. [القمر: ١٧]

وهذا عامٌّ للتلاوة والقراءة وللفهم معاً، قال الحافظ ابن كثير: «﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أي: سهلنا لفظه، ويسّرنا معناه لمن أراده؛ ليتذكر الناس»[١].اهـ

وقال ابن القيم: «ولا تجد كلاماً أحسن تفسيراً، ولا أتم من كلام الله -سبحانه-، ولهذه سمّاه اللهُ بياناً، وأخبر أنّه يسَّره للذّكر، ويسَّر ألفاظه للحفظ، ومعانيه للفهم، وأوامره ونواهيه للامتثال، ومعلوم أنّه لو كان بالألفاظ لا يفهمها المخاطب؛ لم يكن ميسراً له؛ بل كان معسّراً عليه، وإذا أُريد مِنَ المخاطب أن يفهم من ألفاظه ما لا يدل عليه من المعاني، أو يدلُّ على خلافه؛ فهذا من أشدّ التَّعسير»[٢]. اهـ

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٦٤).

(٢) «مختصر الصواعق» (١/ ٥٧).

وقال رسول الله ﷺ: «الحلال بيِّنٌ، والحرام بيِّنٌ، وبينهما أمور مشتبهات»[1].

والاشتباه -أيضاً- إنّما هو بالنسبة لمن لم يعرفها؛ قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله-: «وإنما هي مشتبهة على من لم يعلمها، وليست مشتبهة في نفس الأمر»[2]. اهـ

وقال ابن أبي العز الحنفي -مقرراً هذا-:

«فدين الإسلام هو ما شرعه الله -سبحانه وتعالى- لعباده على ألسنة رسله، وأصول هذا الدِّين وفروعه، موروثة عن الرسل، وهو ظاهر غاية الظهور، يمكن كلَّ مميِّز من صغير وكبير، وفصيح وأعجم، وذكي وبليد أن يدخل فيه بأقصر زمان، وأنه يقع الخروج منه بأسرع من ذلك، من إنكار كلمة، أو تكذيب، أو معارضة، أو كذب على الله، أو ارتياب في قول الله، أو ردّ لما أُنزل، أو شكٍّ فيما نفى اللهُ عنه الشَّكَّ، أو غير ذلك مما في معناه.

فقد دلَّ الكتاب والسُّنَّة على ظهور دين الإسلام، وسهولة تعلّمه، وأنّه يتعلَّمه الوافد، ثم يولّي في وقته»[3].اهـ

وقال علامة القصيم الشيخ عبدالرحمن السّعدي: «اعلم أنّ النّصوص الشرعيّة من الكتاب والسنة تأتي مركبة صريحةً في معانيها، لا تحتمل غيره بوجه، هذا حالُها في نفسها، وقد اتّفق على هذا جميع أئمة المسلمين، الّذين عرفوا مقاصد الشارع في مصادره وموارده، وتمرنوا على ألفاظه ومعانيه، فكما لا يستريبون في نصوصه في الأحكام الفُروعية، فلا يستريبون -أيضاً- في نُصوصه في الأصول، بل يرون هذا النّوع أكثر بياناً، وأبلغَ وضوحاً؛ لشدة الحاجة والضرورة إليه.

ودون هؤلاء من أهل العلم مَن لم يصل إلى ما وصلوا إليه؛ لأنّه ليس عندهم من الاعتناء بالنصوص كما عند

---

(١) رواه البخاري (رقم:٢٥)، ومسلم (رقم: ١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير.

(٢) «جامع العلوم والحكم» (ص٧٢).

(٣) «شرح متن الطّحاوية» (٢/ ٧٨٧).

أولـئك، فنصـوص الشـارع عـندهم ظواهـر، -ظاهرة في معناها في مداركهم وأفهـامهم-، وربّمـا وقع لبعض هؤلاء مـن الاحـتمالات والإشـكالات مـا لا يقـدرون عـلى حلّـه، وبين هؤلاء وبين الأوّلـين فـرقٌ عظيمٌ في هـذه الأبـواب والأصـول العظيمة، وليس نزولهم عن الأوّلـين لقصورٍ في أفهامهم؛ وإنما ذلك لعـدم إقـبالهم الـتّام، واعتـنائهم بكـلام الشـارع، ولهـذا تجدهم في المذاهب التي تفقّهوا بها، واعتنوا بها جازمين بمقاصد أئمتهم، ومرادهم بألفاظهم ونصوصهم؛ لأنهـم وفّـروا مداركهم لتحصيل ذلك، فمرُّوا فيها»[1]. اهـ

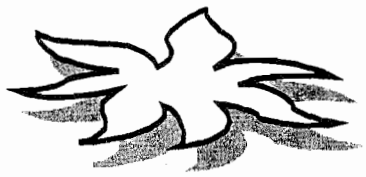

❖«فـإن الإنسـان إذا لـم يخف من الله، ولا سيّما إذا كان طالباً ما لم يحصل له؛ فـإن نفسـه طالـبة لمـا تستريح بـه، وتدفع بـه الغمّ والحزن عنها، وليس عندها ذكر اللهِ وعبادته مـا تسـتريح إلـيه بـه، فيستريح إلى المحرمات من فعل الفواحش، وشرب المحـرمات، وقـول الـزور، وذكـر مجـريات الـنفس والهزل، واللعب، ومخالطة قـرناء السوء، وغير ذلك، ولا يستغني القلـب إلا بعبادة الله -تعالى-».

[«مجوع الفتاوى» (١/ ٥٥)]

(١) «توضيح الكافية الشافية» (ص٧٩-٨٠).

الإشاعة . . وأخطارها على الأمة

•بقلم: د. عبدالعظيم بدوي

يقول الله -تعالى- في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾. [الحجرات:٦]

ينهى الله -تعالى- عباده المؤمنين عن الجري وراء الشائعات، ويأمرهم بالتّثبت من صحة الأخبار التي تُنقل إليهم، فليس كلّ ما يُنقل صحيحاً، وليس كلّ ما يُقال صدقاً، وإن أعداءكم يتربصون بكم الدوائر، فالواجب عليكم أن تكونوا يقظين أبداً، حتى تعلموا من يريد أن يثير فيكم ويذيع القلاقل، ويذيع فيكم الشائعات التي لا أساس لها من الصحة.

يقول الله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ أي: فلا تقبلوا خبره حتى تتبينوا وتتثبتوا، وتجدوا من الدلائل والبراهين ما يدل على صدق خبره.

فأعلم اللهُ -تعالى- أن الأصل في الفاسق الكذب، ولكنّه قد يصدق، ولذا لا يُقبل خبره ولا يرد إلا بعد التثبت من صحة قوله، فإن تبين صدقه بدلائل وبراهين قُبل خبره، وإلا رُدَّ عليه.

ثم علّل اللهُ - تعالى- الأمر بالتثبت والنهي عن الجري وراء الشائعات؛ فقال: ﴿تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ﴾ أي: ثم يتبين لكم خطؤكم وبراءتهم ﴿فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾،

ولا سيما إذا أوجعت السياط ظهوركم؛ مثلاً إذا كان ما خضتم فيه موجباً للحد كالقذف ونحوه.

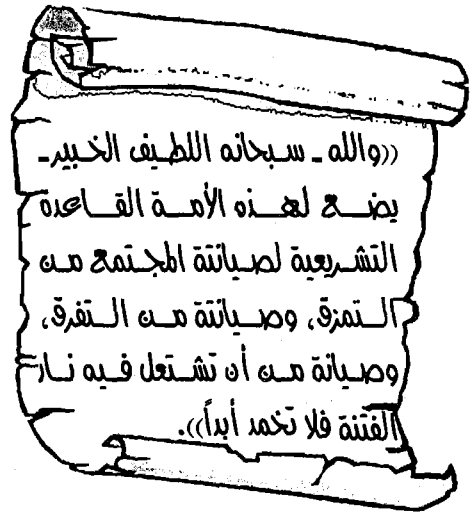

وما أحوجَ المسلمين أجمعين إلى هذه الآية: يقرءونها ويتدبرونها، ويتأدبون بأدبها، فكم من فتنة حدثت بسبب خبر كاذب، نقله فاسق فاجر!؟ وكم من دماء أُريقت، وأرواح أُزهقت، وأموال سُلبت، وأعراض انتهكت بسبب أخبار كاذبة لا أساس لها من الصحة، اختلقها أعداء الإسلام، وأعداء هذه الأمة، ليقضوا بتلك الأخبار الكاذبة على وحدتها، ويمزقوا شملها، ويثيروا فيها العداوة والبغضاء؟! كم فُرّق بين أخوين بأخبار كاذبة؟! وكم فُرِّق بين زوجين بأخبار كاذبة؟! وكم تحاربت قبائل وأمم بأخبار كاذبة؟!

والله -سبحانه اللطيف الخبير- يضع لهذه الأمة القاعدة التشريعية لصيانة المجتمع من التمزق، وصيانته من التفرق، وصيانته من أن تشتعل فيه نار الفتنة فلا تخمد أبداً.

إن مما يؤسف له أنه لم يُخْلُ مجتمع من مجتمعات المسلمين من المنافقين الحاقدين الحاسدين، الذين لا يروق لهم أن يروا المجتمع المسلم مجتمعاً متآلفاً، متآخياً، يسعى بذمتهم أدناهم، وإذا اشتكى أدناهم اشتكى أقصاهم.

والواجب على المسلمين أن يأخذوا حذرهم، وأن ينتبهوا لأعدائهم، وأن يعلموا أن أعداءهم يسهرون في التخطيط والكيد لهم، فعلى المسلمين أن يكونوا دائماً على حذر، حتى يعلموا من أين تأتيهم الشحناء، وكيف تثار فيهم البغضاء!!

إن وجود المنافقين في المجتمع المسلم يشكل خطراً كبيراً، ولكن أخطر منه وجود أناس من المؤمنين الطيبين،

يتقبلون منهم كلَّ ما يملونه عليهم، ويفتحون آذانهم بكلّ ما يحدّثونهم به، ويجرُون وراءهم في الأقوال والأفعال، غير مبالين بما يجرّون لأمتهم بسبب جريهم وراء هؤلاء المنافقين.

ولقد سجّل القرآن الكريم لنا شيئاً من الويلات التي أصابت المسلمين بسبب جري بعضهم وراء المنافقين الحاقدين الحاسدين، حتى نستفيد من التجارِب التي مرَّ بها مَن قبلنا.

اقرءوا إن شئتم سورة النور، وتأملوا الآيات المباركات التي قالها الله -تعالى- في براءة أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- مما اتهمها به المنافقون، وسار على دربهم في هذا الاتهام تقليداً من غير اتباع برهان ولا دليل نفرٌ من المؤمنين الصادقين.

يقول -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ﴾ [النور: ١١]، أي: بالكذب، وهو أسوأ الكذب، سُمي إفكاً لكونه مصروفاً عن الحقّ، من قولهم: أفك الشيء إذا قلبه عن وجهه، وذلك أن عائشة -رضي الله عنها- كانت تستحق الثناء لما كانت عليه من الحصانة والشرف، فمن رماها بسوءٍ قلب الأمر عن وجهه[1].

﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ﴾ أي: لا تحسبوا ما قيل عنكم يا آل أبي بكر شرّاً لكم ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾، فالأمور لا تقدَّر بظواهرها، فربما يأتي الخير في صورة يُرى أنه شر، فلا تحسبوا ما وقع شرّاً لكم ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾، وأول ذلك الخير: أن دَكَرَكُمُ اللهُ في الملأ الأعلى، وأنزل في شأنكم آيات تتلى.

وبنزول هذه الآية انزاحت الغمة، وانكشفت الظلمة، وانزاح ذلك الجبل من الحزن الذي نزل على قلب أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، وزوجها النبي ﷺ، وأبيها الصديق، كما انزاح عن قلب المتّهم بها الصحابي الأمين صفوان بن المعطل، ثم أخذت الآيات تعلّم المؤمنين كيف يواجهون الإشاعات، وكيف يقفون في وجه الكذب والكذابين؛ فقال -تعالى-:

(١) «تفسير البغوي» (٤/ ١٨١).

﴿لَـوْلا إِذ سَـمِعْتُمُوهُ ظَـنَّ الْمُؤْمِـنُونَ وَالْمُؤْمِـنَاتُ بِأَنفُسِـهِمْ خَـيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾. [النور:١٢]

فهـذه أول خطـوة يجب عليك -أيها المسـلم- اتخاذهـا إذ بلغـك عـن أخيك هـذا ظـنك بنفسـك، فـإن كنـت تحسن الظـن بنفسك، وتبرئ نفسك مما قيل في أخـيك، وجـب علـيك أن تحسـن الظن بأخـيك وتُـبَرِّئه مـما قـيل فـيه، وتقـول: ﴿سُـبْحَانَكَ هَـذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النـور: ١٦]، مـا كـان لأخـي أن يقول هذا، أو يفعـل ذاك، وهـذا هـو مـا فعلـه بعض أصحاب النبي ﷺ حين بلغهم ما بلغهم عن أم المؤمنين.

«عن أبي أيوب الأنصاري، أنه قالت لـه امـرأته أم أيـوب: يـا أبا أيوب! أما تسـمع ما يقوله الناس في عائشة؟ قال: نعـم؛ وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يـا أم أيـوب؟ قـال: لا والله، مـا كنـت لأفعله. قال: فعائشة والله خير منك»[1].

ثـم قال -تعالى-: ﴿لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَـةِ شُـهَدَاءَ فَـإِذ لَـمْ يَـأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾. [النور: ١٣]

هـذه هـي الخطـوة الثانـية الـتي يجب عـلى كـلّ مسـلم اتخاذهـا إذا بلغـه عن أخـيه مـا يـتهمه، الخطـوة الأولى كانت طلـب الدليل الباطني، وهو حسن الظن بالمؤمن أخيه، والخطوة الثانية هي طلب الدلـيل الحسـيّ والبرهان الواقعي: ﴿يَا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَـنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّـنُوا﴾، وفي قـراءة ﴿فَتَثَبَّـتوا﴾ أي: اطلـبوا ممـن جـاءكم بهـذا النـبأ الدليل والـبرهان عـلى صـحة مـا جاء به، فإن جـاء بـه، وإلا ردّ خـبره في وجهه؛ لأنه فاسـق كاذب، وأمسك الجميع عن نقل هـذا الخـبر الـباطل، الذي لا أساس له مـن الصـحة، وبهـذا تموت الإشاعات، وتدفن في صدور مروِّجيها حين يفقدون من يتلقاها عنهم ويقبلها منهم.

وهكـذا يُـربي القـرآن أهلـه، ولكـن للأسـف تـرى كـثيراً مـن المسـلمين لا يلتزمون بهذه التربية، فما أن يذيـع منافق

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٢٧٣).

❖ فيا مروِّجاً للإشاعات! ويا مختلقاً للإفك! يا من لا يروق له أن يرى متحابين حتى يفرق بينهما! يا من يسره أمن المسلم وسلامته! يا أيها الباغي للبرءاء العيب! أمسك عليك لسانك؛ فإنك مؤاخذ بكلّ كلمة تقولها: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾

حاسد حاقد خبراً كذباً ضد أحد من المسلمين حتى يشيع ذلك الخبر في المجتمع كلّه، وتلوكه الألسنة من غير تثبت ولا تروٍّ، وفي ذلك يقول ربنا -سبحانه-: ﴿إِذ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [النور:١٥]، والأصل في الكلام أن يتلقى بالآذان لا بالألسنة؛ ولكن الله يعبر عن سرعة نقل الحديث وانتشاره بين الناس، وكأن الكلمة تخرج من لسان إلى لسان، من غير أن تمرّ بالأذان الموصلة إلى القلب الذي يفكر فيما يسمع، ليفكّر -بعد- في جواز نقله وعدم جوازه.

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ ولا عندكم عليه دليل، ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

وبعد أن أدَّب الله المؤمنين بهذه الآداب، وعلّمهم كيف يواجهون الإشاعات، ويحاولون القضاء عليها في مهدها، حتى لا تشيع في المجتمع، بعد ذلك يحذِّر الله المؤمنين من الخوض فيما ليس لهم به علم، يحذّرهم من الجري وراء الكاذبين المروِّجين للإشاعات، فيقول: ﴿يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [النور:١٧]، ثم

يبيّن أن الجري وراء الكذابين المروّجين للإشاعات إنما هو اتّباع لخطوات الشيطان، فيقول -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾. [النور: من الآية٢١]

ثمّ يبيّن -سبحانه- أن الألسنة ومعها سائر الجوارح ستشهد على العبد يوم القيامة، فيقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾. [النور:٢٣-٢٥]

فيا مروِّجاً للإشاعات! ويا مختلقاً للإفك! يا من لا يروق له أن يرى متحابَّين حتى يفرق بينهما! يا من يسرُّه أمن المسلم وسلامته! يا أيها الباغي للبرءاء العيب! أمسك عليك لسانك؛ فإنك مؤاخذ بكلّ كلمة تقولها: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]، أمسك عليك لسانك، واحذر الكذب، واحذر الترويج للإشاعات، واحذر اتهام مسلم بغير بيّنة، واحذر إساءة الظن بالمسلمين، فكأني بك -يا مسكين- يوم القيامة يوم الحسرة والندامة وقد تعلّق بك خصومك، فهذا يقول: ظلمتني، وهذا يقول: شتمتني، وهذا يقول: استهزأت بي، وهذا يقول: ذكرتني في الغيبة بما يسوءني، وبينما أنت كذلك قد ضَعُفْتَ عن مقاومتهم، ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلّصك من أيديهم إذ قرع سمعَك نداءُ الجبار: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر:١٧]، فأيقنْتَ بالبوار، وتذكرت قول العزيز الغفار: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾. [إبراهيم:٤٢]

نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله الهداية والتوفيق.

التماس العذر للعلماء

• بقلم: عبدالله بن مُعَلا اللويحق

العلماءُ هم خير أمة محمد ﷺ، وإذا كان هذا هو الأصل فيهم، فإن من الواجب التماس العذر وإحسان الظن بهم؛ إذ من الواجب على المؤمن أن يظن بأهل الإيمانِ والخيرِ والدينِ والصلاحِ الخيرَ، حينما يسمع عنهم تهمةً من التهم، يقول الله -عزّ وجلّ- في قصة الإفك: ﴿لَوْلا إِذ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ [النور:١٢]

فإحسان الظنّ والتماس العذر للمؤمنين خُلُقٌ نبيل، يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: «لا تظن بكلمة خرجت من أخيك المسلم سوءاً، وأنت تجد لها في الخير محملاً»(١).

وقال محمد ابن سيرين -رحمه الله-: «إذا بلغك عن أخيك شيءٌ تكرهه فالتَمِس له عذراً؛ فإن لم تجد فقل: لعلَّ له عُذراً»(٢).

وقال أبو قِلابة -رحمه الله-: «إذا بلغك عن أخيك شيءٌ تكرهه فالتمس له العذر جهدك، فإن لم تجد له عذراً فقُل في نفسك: لعلَّ لأخي عذراً لا أعلمه»(٣).

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٢١٣).

(٢) رواه أبو الشيخ الأصبهاني (٩٧).

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٨٥).

وهذا الكلام في العلاقات الأخوية؛ فما بالك بعلاقة التلميذ مع شيخه، وعلاقات الأمة مع العلماء؟! إن الأمر حينذاك آكد.

يقول السُّبْكي -رحمه الله-:

«فإذا كان الرجل ثقةً مشهوداً له بالإيمان والاستقامة، فلا ينبغي أن يُحمل كلامه، وألفاظ كتاباته على غير ما تُعُوِّد منه، ومن أمثاله؛ بل ينبغي التأويل الصالح وحسنُ الظن الواجب به وبأمثاله»[1].

إن مِن التماس العذر للعلماء التماسه لمن أجاب في فتنة خلق القرآن، وما يشبهها خوفاً من النَّكال والعذاب بما يخالف الحقّ، فأتى الرخصةَ -التي قد ثبتت في النُّطق بكلمة الكفر مع اطمئنان القلب بالإيمان -، والعالِمُ بَشَرٌ يعرِض له الخوفُ، فقد يقولُ تقيَّةً ما يُطلب منه خشيةَ الضربِ والسجن، فيفعل الرخصة مع ترك العزيمة التي هي أولى في حق العالم الذي ينبغي منه الصبرُ على الأذى في الله -عزّ وجلّ- حتى لا يفتتن الناس بفعله وقوله.

قال المروذي -رحمه الله-:

«سمعت رجلاً من أهل العسكر يقول لأبي عبدالله: ابن المديني يُقرئك السلام، فسكت، فقلت لأبي عبدالله: قال لي عباسٌ العنبري: قال: عليُّ بن المديني: وذكر رجلاً فتكلم فيه، فقلت له: إنهم لا يقبلون منك، إنّما يقبلون من أحمد بن حنبل، قال: قَويَ أحمدُ على السوط وأنا لا أقوى»[2].

«وقال إبراهيم بن عبدالله الجُنيد: سمعت يحيى بن معين وذُكر عنده عليٌّ ابن المديني، فحملوا عليه، فقلت: ما هو عند الناس إلا مرتدٌّ، فقال: ما هو بمرتدّ، هو على إسلامه، رجلٌ خاف فقال»[3].

وقال ابنُ عمّار الموصليّ:

«قال لي علي بن المديني: ما يمنعك أن تُكفّر الجهمية؟ وكنتُ أنا أوّلاً لا

(١) «قاعدة الجرح والتعديل» (٩٣).

(٢) نقلاً عن الذهبي «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٥٥).

(٣) المصدر السابق (١١/ ٥٧).

أكفّرهم، فلما أجاب عليٌّ إلى المحنة، كتبت إليه أذكّره ما قال لي، وأذكّره الله، فأخبرني رجلٌ عنه أنه بكى حين قرأ كتابي، ثم رأيته بعد، فقال لي: ما في قلبي مما قلتَ، وأجبتَ إليّ شيءٌ؛ لكني خفت أن أقتل، وتعلمُ ضعفي؛ أني لو ضُربت سوطاً واحداً لمتُّ -أو نحو هذا-»[1].

وقال ابن عمار -بعد ذلك-: «ما أجاب ديانةً ولكن خوفاً»[2].

وقال الحافظ أبو زُرعة الرازي -رحمه الله-:

«كان أحمد بن حنبل لا يرى الكتابة عن أبي نصر التّمّار، ولا عن يحيى بن معين، ولا عن أحدٍ ممن امتحن فأجاب»[3].

قال الحافظ الذهبي -رحمه الله-:

«هذا أمر ضيّق، ولا حرج على من أجاب في المحنة؛ بل ولا على من أُكره على صريح الكفر، عملاً بالآية، وهذا هو الحق، وكان يحيى -رحمه الله- من أئمة السنة، فخاف من سطوة الدولة، وأجاب تَقِيّةً»[4].

ومما يُلام عليه العلماءُ على مرّ التاريخ لوماً شديداً الأخذُ من الحكام، ولا بدّ من التماس العذر للعالم؛ من فقرٍ، أو حاجة، أو نحو ذلك؛ بل قد يكون العالم غنياً ويأخذ؛ إذ عَدَمُ الأخذ من بيت المال إنما هو من باب الورع الذي لا يُلزم به كلّ أحد؛ وإن كان العلماء أولى الناس بالزهد والورع.

قال بِشْرُ بن عبدالواحد:

«رأيت أبا نُعيم في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ -يعني: فيما كان يأخذ على الحديث-، فقال: نظر القاضي في أمري، فوجدني ذا عيال فعفا عني»[5].

قال الإمام الذهبي -رحمه الله-:

«ثبت أنه كان يأخذ على الحديث شيئاً قليلاً لفقره.

---

(١) المصدر السابق (١١/ ٥٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق (١١/ ٨٧).

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق (١٠/ ١٥٢).

قال ابن خَشرم: سمعت أبا نُعيم يقول: يلومونني على الأخذ وفي بيتي ثلاثةَ عشرَ نفساً، وما في بيتي رغيف.

قلت -القائل الذهبي-: لاموه على الأخذ- يعني من الإمام-، لا من الطلبة»[1].

ومما يُلتمس العذر فيه للعالم: مراعاة طبيعته الذاتية؛ فقد يكون العالم ذا طبيعة متسامحة مثلاً، فيجالس أهل البدع- وحقه أن يكفهرّ في وجوههم- ويخالطهم، لا رضىً بحالهم؛ بل لما هو عليه من التسامح الزائد عن حدّه، فيظن الجاهل بحاله أن هذا العالم بخلطته أهل البدع منهم، وما هو منهم.

قال الواقدي -في الكلام عن ابن أبي ذئب-:

«ولد سنة ثمانين، وكان من أورع الناس وأودعهم، ورُمي بالقدر، وما كان قَدَرياً، لقد كان يتّقي قولَهم ويعيبه؛ ولكنه كان رجلاً كريماً، يجلس إليه كلُّ أحدٍ، ويغشاه فلا يطرده، ولا يقول له شيئاً، وإن مرض عاده، فكانوا يتهمونه بالقدر لهذا وشبهِهِ»[2].

قال الإمام الذهبي -رحمه الله-:

«كان حقه أن يكفهرّ في وجوههم، لعله كان حسنَ الظن بالناس»[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-

« . . . والله ورسوله أحق أن ترضيه، وليس لنا أن نغضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لشبهة وقعت لبعض العلماء».

وقال:

«وليس لإنسان أن يتنزه عن أمر ثبتت فيه سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بالرخصة، لأجل شبهة وقعت لبعض العلماء - رضي الله عنهم أجمعين-».

[«مجموع الفتاوى» (٢١/ ٦٢، ٦٩)]

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق (٧/ ١٤٠-١٤١).

(٣) المصدر السابق (٧/ ١٤١).

نبذة عن حياة الشيخ

مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله-

• بقلم: أبي الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني المأربي

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فبالرغم من كون كثير من الناس كانوا يتوقعون وفاة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله- وذلك لطول معاناته من آلام شديدة، وأمراض خطيرة، قد شاع وذاع ذكرها بين الناس، بل وبالرغم من إشاعة خبر وفاته -رحمه الله- أكثر من مرة، بل قد صلّى عليه كثيرٌ من الناس - أكثر من مرة- صلاةَ الجنازة، قبل أن يموت، لترويج أُناسٍ - سامحهم الله - هذا الخبرَ قبل وقته الذي قدّره الله -عزّ وجلّ-!!

بالرغم من هذا كله؛ فقد كان الخبر الصحيح بوفاة الشيخ -رحمه الله- مثيراً للذهول والدّهشة عند كثير من الناس، بل أصابت الدَّهشةُ والذّهولُ من هم حول الشيخ حالَ احتضارهِ، وخروج روحه -وأنا واحدٌ منهم-.

وما هذا الشعور عند من رأى وفاته بعينه - فضلاً عمن لم ير ذلك - إلا لما في قلب الكثير من محبة عميقة للشيخ - رحمه الله - وذلك لنصرته سنة رسول الله ﷺ.

ولقد جدّد موتُ شيخنا أبي عبدالرحمن -رحمه الله- أحزاناً وآلاماً

وجروحاً -لم تَبْرَأْ بعد- بموتِ ثلة من كبار العلماء، وصفوة الأصفياء، حملة التوحيد والنهج السديد، في فترة وجيزة نحو السنتين.

ولئن كنا موقنين أن دين الله -عز وجل- محفوظٌ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ وقوله -تعالى-: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾، وغير ذلك، إلا أنه لا شك أن موت العالم ثلمة في الإسلام، فكيف بموت علماء؟! فكيف بموت كبار من تدور عليهم الدعوة السلفية في هذا العصر؟!!

لا شك أن المصاب بموت العلماء مصاب جلل، وأنه مصاب الجميع، فالعالم لا يُعزّى فيه أهله فقط، بل يُعزّى فيه أهل الإسلام، وقد كان أيوب السَّخْتِيَاني -رحمه الله- يسمع بموت الرجل من أهل السنة، فيشعر بأن أحد أعضائه قد قطع . . .

فأحسن الله عزاءنا جميعاً، وغفر لأمواتنا، وعظّم أجرنا، ونسأله -تعالى- ألا يحرمنا أجرهم، ولا يفتنّا بعدهم.

والكلام عن مكانة الشيخ -رحمه الله- يطول جداً؛ لأن جهاده في العلم، والتعليم، والدعوة إلى الله -تعالى-، والتربية والتوجيه، امتدّ نحو ثلاثين عاماً، ولا شك أن الكلام عن حياة الشيخ بوجه من التفصيل محله المطولات والتراجم الموسعات، إلاّ أنني أشير إشارة سريعة إلى عدة جوانب نافعة في حياة الشيخ- رحمه الله-:

فلو نظرنا إليه عالماً:

لرأينا قوة حفظه -رحمه الله- للأحاديث ومراتبها وعللها، وللرجال وأحوالهم، ولقواعد العربية وشواهدها.

ولو نظرنا إلية مربّياً:

لرأينا صبره الطويل على التعليم والتربية، وكيف كان مستيقناً بنصر الله -عزَّ وجلَّ- لهذه الدعوة، في وقت كنا نرى تكالب أهل الأهواء على هذه الدعوة، وهو يقول ويردّد دائماً: «هذه الدعوة -يا إخواننا- تسير سيراً ليس له نظير»، مع أننا نرى كيد الكائدين، وأثره على إخواننا ودعوتنا في كل مكان، ثم آلت الأمور بعد ذلك إلى ما

كان يراه الشيخ ويستيقنه، ولله الحمد والمنة.

ولا شك أن هذه صفة عزيزة، فاليقين زادٌ للتمكين في الأرض، كما قال -تعالى-: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾، وكم من رجل يرجع من وسط الطريق، لفقده اليقين!؟ بل ربما يرجع مِن وَضْعٍ كان فيه قاب قوسين أو أدنى من العز

لأمر مضى فيه، سواء وافقه أحد أم خالفه، ولا يبالي بالخصوم، أو العذال مع كثرتهم، وهذه صفه محمودة - غالباً - وهي فرع عن اليقين والرؤية الصافية للحقّ، والاستئناس بالاتِّباع، دون النظر لكثرة الأتْباع والأطماع.

ولو نظرنا إليه -رحمه الله- خطيباً واعظاً:

فقد كانت له كلمات وصرخات تهزّ

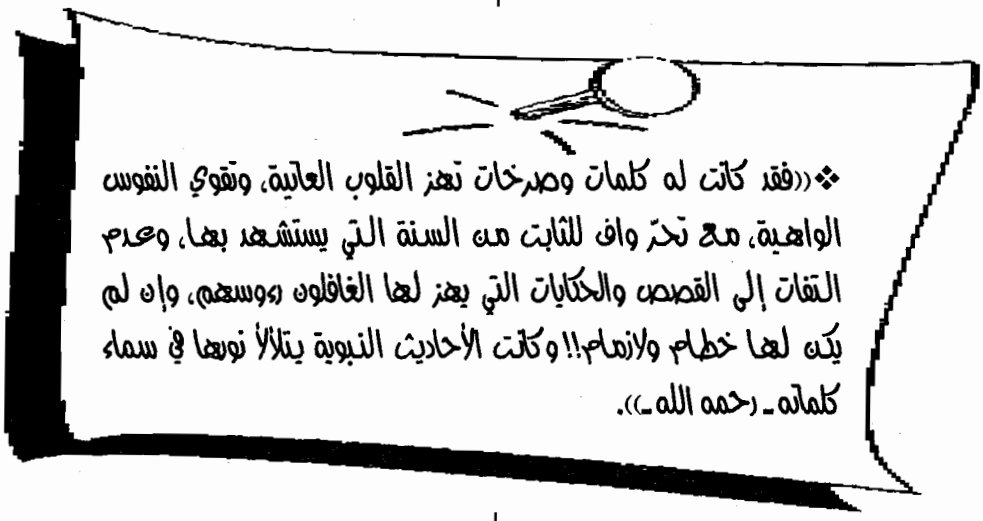

❖«فقد كانت له كلمات وصرخات تهز القلوب العاتية، وتقوي النفوس الواهية، مع تحرّ واف للثابت من السنة التي يستشهد بها، وعدم التفات إلى القصص والحكايات التي يهز لها الغافلون رءوسهم، وإن لم يكن لها خطام ولازمام!! وكانت الأحاديث النبوية يتلألأ نورها في سماء كلماته -رحمه الله-».

ولو نظرنا إليه آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر:

فالذي عُرف به الشيخ -رحمه الله- أنه كان لا يخشى في الله لومة لائم، فلو اعتقد شيئاً؛ صاح به، ولو انشرح صدره

القلوب العاتية، وتقوّي النفوس الواهية، مع تحرّ واف للثابت من السنة التي يستشهد بها، وعدم التفات إلى القصص والحكايات التي يهزّ لها الغافلون رءوسهم، وإن لم يكن لها خِطام ولا زمام!! وكانت

الأحاديث النبوية يتلألأ نورها في سماء كلماته -رحمه الله-.

ولو نظرنا إليه - رحمه الله- معلماً:

لرأينا لمجالسه مع طلابه حلاوة وطلاوة، فهو الذي يوجه الأسئلة الكثيرة لطلابه في الحديث ورجاله، وقواعد العربية وشواهدها، وأقوال الشعراء ومعانيها، وهو الذي يختبر ذكاء الطلبة بإلقاء أسئلة لا يتفطّن لها إلا أهل الفطنة والذكاء منهم، وكان مجلسه بينهم -وإن طال- لا يُملّ، وفوائده في دروسه غزيرة، ودُرر علمه وفيرة، فرحمة الله عليه.

ولو نظرت إليه في مسائل الاختلاف:

لرأيته واسع الصدر مع مخالفيه -فيما يحتمل فيه الاختلاف-؛ فتراه يفتي بالفتوى، وأحد طلابه يُفتي بخلافها، بل ربما خالَفَتْهُ إحدى الطالبات في تصحيح حديث أو تضعيفه، أو في مسألة فقهية، والشيخ يردّد كثيراً: أنا لا أُلزم أحداً بقولي، ولا أحب أن يُلزمني أحد بقوله إلا بالدليل.

وهذا كله من علمه وفهمه -رحمه الله تعالى- .

ولو نظرنا إليه - رحمه الله - محافظاً على الوقت:

فنراه لا يَدَعُ شيئاً يضيع من الوقت، فإن جلس في مجلس ضيافة؛ يسأل الجالسين معه، على قَدْرِ مستوياتهم، فيسأل طالب العلم في حدود ما درس، ومن جهل حاله؛ سأله : ماذا درست يا بُنَيَّ في العقيدة أو اللغة أو علوم الحديث؟ أو غير ذلك، ثم يسأله بعد ذلك، وإن كان عامياً؛ سأله عن مقولة مشهورة، أو حكمة دارجة بين الناس، عن صحة معناها، أو عدمه، بل ربما سأل من يسبح معه في البحر عن أسئلة في الحديث أو العربية، وهم في داخل البحر، لا تُرى إلا رؤسهم!! وكان يسأل من يركب معه في السيارة، أو يتصل به عبر الهاتف، حتى في زمن مرضه وآلامه!! وإن جلس معه طالب علم قوي؛ ذاكره، واستثبت منه في بعض الأمور التي طال عهده بها، وهذا من تواضعه -رحمه الله- مع طلاب العلم والعلماء.

ولو نظرنا إليه - رحمه الله- زاهداً ورعاً:

فهذا أمر قد أَقَرَّ به الموافق والمفارق، فالشيخ يمشي كثيراً حافياً، وحاله في بيته مشهورة، ومن رآه -جاهلاً به- ربما ازدراه، ولم يلتفت إليه.

ولو نظرنا إليه - رحمه الله- محافظاً على السنة:

فلا أعلمه يعلم بشيء من السُّنَّة إلا ويُجِلُّه، وقضى به، وقدّمه على غيره، وتمسّك به في هيئته وكلامه، وبهذا رفعه الله -تعالى- بين الناس.

وقد دعا له أحد الإخوة قبل غيبوبته بساعات، وقال له: عافاك الله -إن شاء الله- ياشيخ، فأنكر عليه، وقال: اجزم في الدعاء، فلم يرد الاستثناء إلا في موضع «طهور إن شاء الله»، فتأمل حرصه على السنة، وهو في حالة قد أخبره الأطباء بأنهم قد عجزوا عن علاجه، والموت قاب قوسين أو أدنى منه!!

ولو نظرنا إليه -رحمه الله- مفتياً:

فلا تراه يفتي إلا بآية أو حديث ثابت، ولا يقدّم على ذلك عقلاً أو رأياً أو مذهباً، وهذا مذهب أهل الحديث والأثر، على تفاصيل معروفة بين أهل العلم، ليس هذا وضع بسطها.

ولو نظرنا إليه -رحمه الله- واثقاً بربه متوكلاً عليه:

فأمره في ذلك عجيب، فعدد الطلاب عنده يزيد على ألفين، ومنهم ست مئة عائلة تقريباً، ولا يفكر في نفقتهم وحاجتهم المادية، وأحياناً تمر بالطلاب أزمات جائحة، وإذا كُلِّم في ذلك وكَلَ الأمور إلى الله -عزّ وجلّ-، فيأتي الله بالفرج، وما أعلمه يتكلم في أمر الدنيا، أو يُكثر معاتبة على أحد لم يحسن أمرها، وأهم شيء عنده الوقوف عند سنة رسول الله ﷺ، وما كان -رحمه الله- يحسن عدّ الفلوس، إذا اختلفت أشكالها وفئاتها!! كل هذا لعدم احتفائه بأمر الدنيا وزينتها.

ولو نظرنا إليه - رحمه الله- متواضعاً ليناً:

فبينما هو كالليث الحَرِبِ على من خالف السنة، فإذا بك تراه سهلاً ليناً يقوده الطفل بيده، ليكلمه في أمره، وتراه منقاداً مطواعاً لمن يثق فيه بأنه ينصر السنة، إذا كلّمه فيما لا يخالف

أمر الله -عزّ وجلّ-، وترى جلساءه كلٌّ منهم يظن أنه أحظى الناس بحبه، وأسعد الناس بقربه، وهذه صفة حميدة فيمن اجتباهم الله واصطفاهم لتربية أبناء المسلمين.

ولو نظرنا إليه مداعباً لطلابه:

لرأيناه خفيف الظل ألمعياً؛ فذات مرة كان يسابق أحد طلابه في الوادي، فسبقه الطالب، فلما جاء الدَّرس الذي بين مغرب وعشاء؛ سأل الشيخُ الطالبَ سؤالاً، فلم يستطع الجواب، فقال الشيخ -مداعباً للطالب وإخوانه-: «هذه بتلك!!» فضحك الجميع.

ولو نظرنا إليه - رحمه الله - مؤلفاً:

لرأينا في مؤلفاته البركة -وإن قل كلامه فيها- وقد يحكم بحكم على حديث أو مسألة فقهية، فيظهر للناظر خطؤه في هذا الأمر، فإذا أطال الناظر البحث، ربما رجع إلى قول الشيخ -رحمه الله- وهذا من بركة العلم، وقد عُرِفَ هذا قديماً عن علماء اليمن، هذا مع اختياره -رحمه الله- لأبواب يحتاج إليها

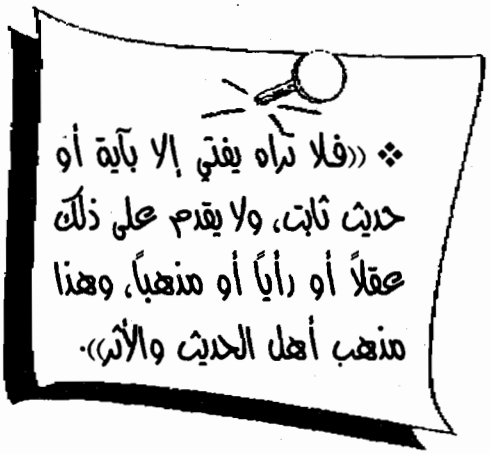

المبتدي، ولا يستغني عنها المنتهي، وقد زادت مؤلفاته عن أربعين مؤلفاً -نفعه الله بها في الدنيا والآخرة-، هذا مع ازدحام وقته بالتدريس، واستقبال الضيوف، والخروج للدعوة، والإصلاح بين الناس، فكيف إذا كان متفرغاً للتأليف؟!

وكل هذا من بركة الوقت للعلماء.

ولو نظرنا إليه - رحمه الله- رحيماً بطلابه:

فربما يبكي إذا سمع شكوى طالب علم، أو رأى سوء حاله، أو حال زوجته وأولاده، وإذا توسّم في أحدهم نجابةً وخيراً، بذل له الكثير والكثير، حتى يتوفر له من الأسباب ما يعينه على الخير ومواصلة السير.

ولو نظرنا إليه - رحمه الله - محذراً من أهل البدع والأهواء:

فهذا عِلْمٌ قد اشتهر به الشيخ، وسارت بأخباره الرُّكبان، فلا أعلمه يتكلم فيه بهوى، بل يتكلم بما يعتقد أنه يقرّبه إلى الله -تعالى-، ولا يَلْزَمُ من ذلك أنه معصوم، فكلٌّ يؤخذ من قوله ويُرَد، إلا رسول الله ﷺ، وما من عالم من علماء الأمة - مهما علا شأنه - إلا رُدَّ عليه بعض قوله، لا سيما في باب الجرح والتعديل للرجال، ولم يُنزل ذلك من مكانتهم، إذا كانوا يتحرّون الحق، ويلتمسون الأسباب الشرعية الموصلة إليه.

ولا أحسب الشيخ -رحمه الله- إلا واحداً منهم في ذلك، ولقد قصم الله به ظهر الرفض، والاعتزال، والتصوف، وصنوف الضلال، والتّحزّب المقيت وذيوله الطوال.

فلله دَرُّه، وعلى الله أجره، فكم رفع الله به رءوس أهل السنة؛ الذين كانوا يعرفون الحق في أنفسهم، ويهابون أن يدعوا الناس إليه، وأنشأ الله به جيلاً عريقاً، ضرب بجذوره في أطناب التاريخ، فترى اليومَ أبناء أهل بدع الأمسِ هم حملةَ الدعوةِ المناصرين لها، الذابين عنها، المفنّدين لشبه أسلافهم وآبائهم، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

ولو نظرنا إليه - رحمه الله - صلباً شجاعاً:

فقد كان لا يهاب كبيراً ولا صغيراً في الحقّ، وقد صدع بالسنة في بلاد تكاد تتقطّع غيظاً على حملة هذه الدعوة.

وقد تعرض عدة مرات للاغتيال والقتل في المساجد بالعبوات الناسفة، ومع ذلك ما كان يتردّد عن مواصلة السير، بل كان يتمنى الشهادة في سبيل الله من فوق منبره، ولما لم يتحقق ذلك كتب في وصيته ما نصه: «ولعله قد قدر الله أن أموت على فراشي، وكنت أرغب أن يختم لي بالشهادة مع الدعوة، والحمد لله على ما قدّر الله، على أنه قد قال غير واحد من العلماء: إن الراد على أهل البدع، بمنزلة الجهاد في سبيل الله، بل أفضل من الجهاد في سبيل الله، ولكن أسأل الله أن يرزقني الإخلاص في ما بقي من العمر...». اهـ

ولو نظرنا إليه - رحمه الله - مؤثراً في المجتمع اليمني:

لرأينا أمراً لا يتصوّره إلا من رآه: فإذا خرج من بلده زيارةً ودعوةً إلى الله -تعالى- في أنحاء اليمن؛ سارت بسيره قوافل دعوية، يصعب حصر أهلها المرافقين معه، وتستقبله القبائل بالأشعار القبلية، بل ربما استقبلوه بأصوات المدافع والأسلحة النارية، فرحاً بقدومه، ورغبةً في دعوة ظاهرها وباطنها سواء، والتي تدعو إلى الاعتصام بالكتاب والسنة والعلم النافع، ولا يتهيأ له أن يأخذ قسطه من النوم والراحة من كثرة من يزاحمه في مجلسه للسؤال والاسترشاد، ويزوره الصالحون من المسئولين في الجهات التي ينـزل فيها للدعوة إلى الله -تعالى-، إجلالاً منهم للعلم وأهله، والشيخ ينصحهم ويذكّرهم.

وفي مثل هذه الزيارات لا تتسع المساجد للمحاضرات، فتقام المحاضرات في مصلى العيد، ونحو ذلك، وإن أقيمت في المساجد؛ ففوق السطوح وخارج الأبواب والمنافذ -ولله الحمد والمنة-.

هذا بالإضافة إلى دور الحديث التي انتشرت في اليمن بسبب دعوته، وملأ طلابها والوافدون إليها السهل والجبل، ولقد شهد اليمن به دعوة ورحلة للعلماء، لم تعرف إلا في زمن عبد الرزاق الصنعاني - رحمه الله-، ومن في منزلتهِ.

ولو نظرنا إليه - رحمه الله - جواداً كريماً:

فهذا مما لا ينتطح فيه عنـزان، فكم كان يقـوم بنفسـه على خدمـة ضيفانه - وإن كانوا من صغار طلاب العلم- وتأتيه الوفود من كل مكان، فيأمر بإعداد طعام لهم، فتشعر بأنه ينفق نفقة من لا يخشى الفقر - إي ورب الكعبة-.

ولو نظرت إليه -رحمه الله- عزيزاً متعففاً:

فالشيخ فيه عزة نفس عجيبة، فقد كان يزوره في مرضه رجال بأيديهم الحل والعقد، والبسط والجد؛ يعرضون عليه نفعهم له ولطلابه، فلا يزيد عن الدعاء لهم بالخير، شاكراً لربه ما هو

عليه من حال، صابراً متصبراً، بل كان ينهى مرافقيه أن يكلموا أحداً في شيء من ذلك إلا بإذنه، سواء في حضوره أو غيابه.

ولو نظرنا إليه -رحمه الله- صابراً على المرض:

فقد كان الشيخ -رحمه الله- يعاني من أمراض كثيرة، لو وُزِّعَتْ على عدد من الناس لهزمتهم، لكنّه كان صابراً متصبّراً، فلا تراه يتأوّه، وما سمعته في مرضه يشكو، أو يتأوّه، إلا بعدما أصابته غيبوبة لمدة أربعة أيام، وقد كان يصبِّر مرافقيه، ويبشّرهم بأنه بخير، وكان يلازم المطالعة في الكتب، وهو على هذا الحال، ويذاكر مجالسيه بالعلم والفوائد.

ولو نظرنا إليه - رحمه الله - ساعياً في قضاء حوائج الخلق:

فلله دَرُّهُ، كم من كتاب قد أعده لكتابة الشفاعات والتزكيات لطلاب العلم، قد أنهاه عن آخره، وكان -رحمه الله- لا يتردد أن يشفع لطالب العلم عند أهل الحل والعقد، أو أهل البسط والجد، وقد مات -رحمه الله- وقد طُبِعَ له بإذنه نحو عشرين كتاباً، قد أعدها للشفاعة والتزكية لطلاب لعلم، فأسأل الله أن يجزل له المثوبة، جزاء ما نوى من فعل الخيرات.

والحقُّ أن الكلام يطول، ولو سُجِّلَت الوقائع التي تدل على ما أشرت إليه ؛ لبلغت مجلدات، ولعل ذلك يكون -إن شاء الله -تعالى-، فطلابه قد ملأوا السهل والجبل، ولن يعدموا من رجل أو رجال يقومون بذلك، دون إفراط أو تفريط، فالكلام في مناقب العلماء ومآثرهم وشمائلهم وتراجمهم: جندٌ من جنود الله -عزّ وجلّ-؛ لأن تراجم العلماء مناهج تُتَّبع، لا سيما تراجم وأحوال بقية السلف في هذا العصر، ولا أحسب شيخنا أبا عبد الرحمن إلا واحداً منهم - رحمه الله تعالى-، ومهما يطول عُمُر الرجل فلا بد من نهاية، وإن كانت نهاية العلماء؛ بداية لمن بعدهم، ويقظة لمن خلفهم.

فبعد معاناة طويلة من الأمراض، انقضّ على الشيخ -رحمه الله- مرض

الكبد، واستفحل أمره به، منذ سنة وثلاثة أشهر، فأُسعِف إلى مستشفى الثورة بصنعاء، وشاع خبره بين الناس، وعوجل بفحصه وعلاجه، وقد أُكْرم من قبل المسؤلين إكراماً عظيماً، فجزاهم الله خيراً، والعلماء بوابة التاريخ، فمن أحسن إليهم؛ مدحه التاريخ، ومن أساء إليهم؛ فعلى نفسه، ومن عاش لله؛ عاش عظيماً، ومات كريماً، ومن عاش لنفسه؛ عاش صغيراً، ومات حقيراً.

ونُصِح الشيخ بالعلاج خارج البلاد، فكانت منقبة أخرى ادّخرها الله -عزّ وجلّ- لحكومة المملكة العربية السعودية -حرسها الله-، وجميع بلاد المسلمين من كل سوء - فبذلوا الغالي رخيصاً لعلاجه، وحقّقوا له كل رغباته، وهذا من مكارمهم المشهورة - فجزاهم الله خيراً كثيراً-، ولكنَّ الله -عزّ وجلّ- له ما يشاء ويختار وصدق الله -عزّ وجلّ- إذ يقول: ﴿فَإِذا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ وقديماً قيل :

وإذا المَنِيةُ أنشبت أظفارَها
ألفيتَ كل علاجهِ لا ينفع

والحقُّ أن مرض الشيخ -رحمه الله- قد أيقظ همم كثير من الناس عندنا في اليمن، فلما رأى المسئولون والمرضى في المستشفى ازدحام الزوار؛ تأثّر منهم الكثير وناصروا السُّنَّة، وكذا الناس في المطار عند توديع الشيخ واستقباله، عندما يرون الجماهير المحتشدة، فيسألون: من هذا الشخص؟! فيُخبرَون بذلك، فيتأثّرون لذلك، ولله -سبحانه- الحكمة البالغة في خلقه.

ولما علمتُ بحالته الصحية المتدهورة؛ قدمت من (الإمارات)، وقد اعتذرتُ عن إكمال دورة علميه هنالك، مع جماعة من المشايخ -حفظهم الله- ولازمتُ الشيخ مع مرافقيه مدة أربعة أيام، وهو في غيبوبة، ولما جاء الوقتُ الذي قدّره الله عليه، وأنا قائمٌ عند رأسه من جهة اليمين، فإذا به يبتسم ابتسامة قد ملأت وجهه، وأشخص بعينيه إلى السماء، حتى ظنّ مَن هم عند قدمه أنه يضحك، وأنه سيتكلّم

معنا، ولكني كنت أشعر أنه في النَّـزْع الأخير، ثم بعد ذلك خرجت روحُه، ومنا من يقول: قُضِيَ عليه، ومنّا من يقول غير ذلك، وبَرَدَ الشيخ بيننا، وسُلَّت روحُه ـ فيما يظهر لنا - كما تُسَلّ القطرة من فيّ السقاء، ثم استنار وجهُه بيننا قبل تغطيته، وكان هذا كله -فيما يظهر لنا إن شاء الله- من علامات حُسن الختام، والفضل في ذلك لله وحده، وكان ذلك بعد غروب شمس يوم السبت، ليلة الأحد، بين مغرب وعشاء في الأول من جمادى الأولى (١٤٢٢ هـ)، عن عُمُر يُقدّر بثمانية وستين عاماً -فرحمه الله رحمة واسعة-.

وقد كان الشيخ قد أوصى أن يُدفن في مقبرة العَدْل في مكة، وصُلِّي علية بعد صلاة فجر يوم الأحد، في الحرم المكي، مع أن خبر وفاته لم يتسرّب إلا بعد العشاء أو قبلها بقليل، إلا أن الناس اجتمعوا من أماكن شتى في الحرم المكي للصلاة عليه، وكانت جنازته مهيبة، وكثُر المشيّعون للشيخ فيما لا يُحصي عددَهم إلا اللهُ -عزّ وجلّ-، ولم أتمكّن من الزحام أن أقترب من القبر، إلا بعد حين، وهذه مبشّرات للمؤمن، وقد كان الإمام أحمد -رحمه الله- يقول: «قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز»، فهذا الجمع العظيم - مع أننا لم نعتن بالاتصالات هنا أوهناك - فكيف لو تأخّرت الصلاة على الشيخ وقتاً أو وقتين؟! ولكن السنة التي قضى الشيخ حياته من أجلها، تقضي بالتعجيل، وإدخال الميت في الثلاجة - بدون عذر - ضربٌ من تعذيب الميت، فإحياء السنة ولزومها؛ مقـدّم على غـيره.

وقـد حضر جنازته - رحمه الله - جمعٌ من العلماء وكبار طلاب العلم، وحقّق الله وصية الشيخ بالدفن في مقبرة العَدْل بمساعدة من صاحب الفضيلة الشيخ صالح بن عبدالله بن حميد -رئيس شئون الحرمين، وعضو هيئة كبار العلماء - حفظه الله وسدّده-.

وهكذا انتهت حياة مليئة بالجهاد في سبيل الله بالكلمة والبيان، والنصح والذّب عن السُّنّة، ولكن العلماء - وإن

وُورِيَت أجسامهم بين الثرى - فإن أعمالهم مذكورة ومنشورة في كل مكان بين الوَرى.

وصدَق من قال:

ليس من مات فاستراح بميْتٍ
إنما الميْت ميِّتُ الأحياء

ولعله بموت الشيخ -رحمه الله- قد تحققت رؤيا طالما حُكيت لي أكثر من مرة، أثناء مرض الشيخ، وهي: أنه قد رؤيت أربعة أقمار تسقط من السماء، الواحد تلو الآخر، وقد كنت أُحِسُّ أن الرابع هو الشيخ -رحمه الله- وأُسِرُّ ذلك في نفسي، حتى قضى الله أمره، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وأهل البدع الذين يفرحون بموت العالم، أخطأوا السبيل، فالموت سنة الله على الخلق، كما قال -تعالى-: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾، وصدق من قال:

تمنى رجال أن أموت وإن أمت
فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحدِ
فقل للذي يبقى خلافَ الذي مضى
تهيّأْ لأخرى مثلِها فكأنْ قدِ

ولْيعلموا أن الشيخ - وإن مات جسده -فآلاف الطلاب يحملون لواءه ودعوته في نصرة الحق الذي كان عليه السلف ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ ليس ذلك في اليمن فقط، بل في بلاد العرب والعجم، وبلاد الإسلام والكفر -إن شاء الله تعالى-.

وبموت العلماء يثقل الحمل على من وراءهم، فنسأل الله أن يحفظ لنا من بقي من علمائنا، وأن يبارك في طلاب العلم، وأن يرزق الجميع التي هي أقوم، ورحم الله الشيخ أبا عبد الرحمن رحمة واسعة.

اللهم أبْدِلْه داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وأكرم نزله، ووسّع مدخله، اللهم آنس وحشته، وابعثه آمناً يوم القيامة، وتقبّله عندك من المجاهدين الصالحين البررة، وأجزل له العطاء والمثوبة، و إنا لله و إنا إليه راجعون.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

العلماء نجوم الأرض !!!

بقلم: أبي عمر الكناني

درج في عرف الشرع تشبيه العلماء بالنجوم، وهو تشبيه له دلالاته الّتي يجب أن نتوقّف عندها عدة وقفات:

الوقفة الأولى:

إنّ العلماء لباقي الناس كالنجوم لهم، وكلاهما تسخير من الله -تعالى- للناس لهدايتهم، فكما أنّ النجوم هدايات للناس في ظلمات الصحاري والقفار، تهديهم السبيل، وتجنبهم التيه، فكذلك العلماء، بهم يهتدي الناس في غياهب الظلمات، ظلمات الشّك، والحيرة، ظلمات الشبهة والشهوة، ظلمات البغي والعدوان والفتن، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج الواحد يده لم يكد يراها، لكن بفضل الله ثم بفضل العلماء تزول الحيرة، وينتهي التّيه، ويهتدي الضّال، فكانوا بحقٍّ للدنيا نجومها وأقمارها، فإذا غابت النجوم وَأَفَلَتِ الكواكب؛ فبمن نتلمّس السّبيل؟!

الثانية:

أنّ مِن النجوم شُهُباً سلّطها الله على شياطين الجنّ ممن يسترقون السمع، يلقيها الواحد منهم لشيطان الإنس فيختلق الإفك ويفسد على الناس عقائدهم، وكذلك العلماء، هم الشّهب المسلّطة على أهل الزيغ ممن يستمع العلم بل يسترقه استراقاً، لا للاهتداء وإنما للبغي والإضلال، فيتبعه شهاب ثاقب؛ عالم رباني يقمع البدعة ويكشف الغشاوة، ويبيّن زيف عالم السوء ومسترق العلم من أهل البدعة والفجور، فكما كانت النجوم أمنة لوحي السماء كان العلماء بحقٍّ أمنة لوحي الأرض.

ثم إنّ من شأن العلماء الربانيين السلفيين أهل الأثر والسّنّة أنّهم كالنّجوم في تتبُّع شياطين الجن، يتتبعون شياطين الإنس؛ فلا محاباة عندهم بين شيطان وشيطان، بعكس أهل الهوى؛ فهم يفرّقون بين شيطان وشيطان بحسب أهوائهم، وإذا رأيت العالم يفعل ذلك فاعلم أنّه نقصٌ في ربّانيّته قَرُبَ ما قَرُبَ وبعُد ما بعُد.

الثالثة:

أنّ الله -تعالى- رفع النجوم عالياً في السّماء، فلا يدرك حقائقَها أهلُ الأرض، ولا يستطيعون لها ضُرّاً أو تأثيراً، وكذلك العلماء رفع الله -تعالى- أقدارهم حتى ما يدرك أكثرنا حقيقة أقدارهم العليّة الزّكيّة؛ لكنّ الله -تعالى- يعلمها، وبقدر ما صفت حقائقهم، وخلصت لله بواطنهم بقدر ما يعلُون في الدنيا في أهل الإيمان، فإذا بلغوا ذلك لم يضرّهم كيدُ أهل الأرض، بل ولا يبلغ أرضيٌّ منهم شيئاً، كيف وهم أولياء الله، ومن عادى له -سبحانه- ولياً فقد بارزه بالحرب؟! كيف وهو سمعهم الذي يسمعون به، وبصرهم الذي يبصرون به، وأيديهم التي يبطشون بها، وأرجلهم التي يمشون بها؟! فمن كان هذا حاله فكيف تصل إليه يد آثمة أو يلغ في عرضه دواب الأرض من أهل البدع؟!

الرابعة:

أنّ العلماء مثل النّجوم، فإنّ النّجم مع عظم قدره وضخامته يبدو في الأعين صغيراً، ولا يغير ذلك من حقيقته شيئاً، وكذلك العلماء فهم لتواضعهم ورغبتهم فيما عند الله تواضعوا للخلق، فَصَغُروا في أعين من لا خلاق لهم غير مدركين حقيقة أقدار القوم، وعِظَمَ منازلهم عند الله –تعالى–.

والذنب ليس ذنب العالم الرباني الذي تواضع وأعرض عن أهل الذّم، وإنما كما قيل:

كالنجم تستصغر الأبصار طلعته
والذنب للطّرف لا للنجم في الصغر

الخامسة:

سقطت في أعوامنا الأخيرة نجوم، بكينا لها كثيراً، لكن أربعة من هذه النّجوم وجدنا لها أثراً: فأوّلهم الشيخ عبدالعزيز بن باز، وبعده الشيخ ناصر الدين الألباني، ثم لحقهم الشيخ محمّد ابن عثيمين ثمّ انصدع القلب بموت الشيخ مقبل الوادعي، الله أكبر.

ومن يعدل بهؤلاء غيرهم؟! كانوا هم النجوم حقاً وصدقاً ، هم الأئمّة حقيقة لا ادّعاء وتزييفاً ومغالاة، هم الشموس الّتي أذابت عن القلوب رينها، وعن العقول صدأها.

وإذا تأمّلت وجدت هؤلاء الأربعة تميّزوا عن غيرهم أنّهم:

١- أئمّة أهل الحديث والأثر.

٢- أربعتهم مجددون بحق وصدق.

٣- أربعتهم أحيوا السّنّة.

٤- أربعتهم أصحاب مدارس خرّجوا علماء أجلاّء وطلاب علم فضلاء:

فالشيخ عبدالعزيز أسّس مدرسته في الرياض فبقي وأنتج، والشيخ محمد قريب منه في القصيم، والشيخ ناصر في الشام، والشيخ مقبل في اليمن، رحم الله الجميع وجزاهم عن الإسلام خير الجزاء.

فلا يقولنّ قائل: إنّ غيرهم مثلهم، لا أقول في العلم؛ فإن العلم مواهب يهبها الله لمن يشاء، وإنّما في انتفاع الأمّة بهم، في تجديدهم، في جهادهم، في

صبرهم، في فقههم ودعوتهم؛ فإن هذا منتهى الظلم، لذا أقول: إنّ هؤلاء الأربعة أئمة هذا العصر، بلا منازعة، ولا مغالاة، ولكن هذا واقع، والواقع شاهد حي.

رحم الله الشيخ مقبلاً، كم أطلق في نفسي آهاتٍ كَظمتُها منذ زمان، لقد أثارت جنازته المهيبة في نفسي نوازع للحزن ما زلت أكابدها منذ يوم دفنه، وأثار منظره المهيب في قلبي همّاً وغماً وظلامية على مستقبل هذه الأمّة، وما عساه ينتظرها من الفتن، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

وقد وُوري بجوار العَلَمين، وكأني برابعهم يتوَقُ للّقاء في مقبرة العدل، وإن كنت أرجو أن يكونوا الآن في لقاء عند حبيبهم، أسأله -سبحانه- بحبّي لما أحيوه من الدِّين والسّنّة أن يرفع درجاتهم في الآخرة وأن يرزقنا وإياهم رفقة الحبيب ﷺ، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً.

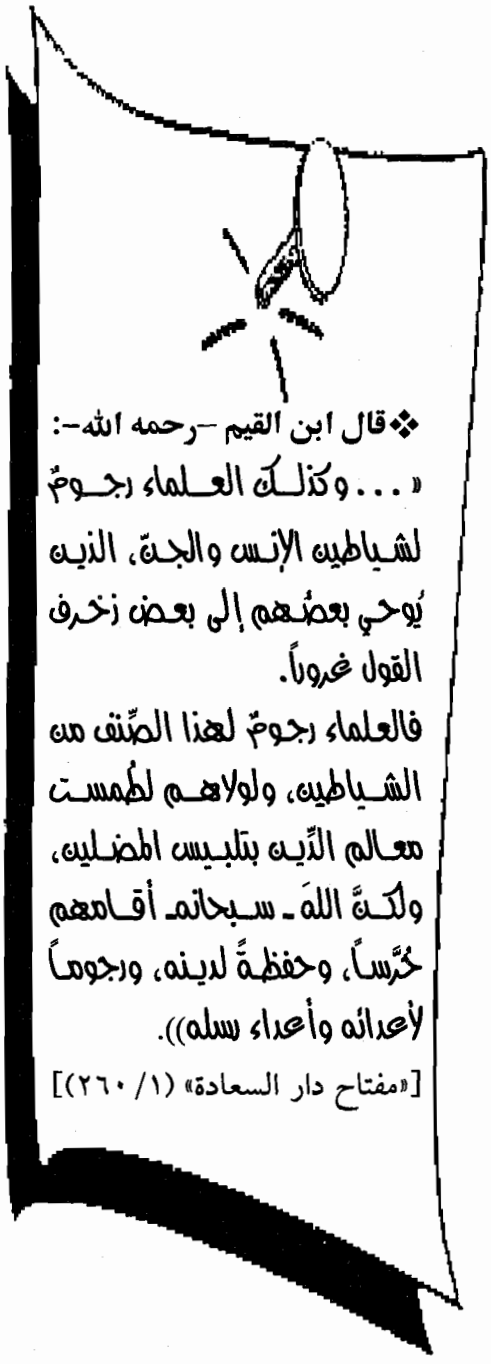

❖ قال ابن القيم -رحمه الله-:

« . . . وكذلك العلماء رجومٌ لشياطين الإنس والجنّ، الذين يُوحي بعضُهم إلى بعض زخرف القول غروراً.

فالعلماء رجومٌ لهذا الصِّنف من الشياطين، ولولاهم لطُمست معالم الدِّين بتلبيس المضلين، ولكنَّ اللهَ -سبحانه- أقامهم حُرَّساً، وحفظةً لدينه، ورجوماً لأعدائه وأعداء رسله)).

[«مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٦٠)]

من أعلام دعوتنا

الشيخ أبو عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي

•بقلم: أكرم بن محمد زيادة

لما رُزئنا والأمة الإسلامية بموت شيخنا أبي عبدالرحمن محمد ناصر الدين الألباني، ومن قبله العلامة سماحة الوالد أبي عبدالله عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز، ومن بعدهما الشيخ محمد بن صالح العثيمين وغيرهم من أهل العلم والفضل -رحم الله الجميع رحمة واسعة، وأسكنهم فسيح جناته- تسارع أهل العلم وطلابه في ذكر مناقب هؤلاء العلماء الأفاضل الأجلاء، ذكراً على المنابر في الخطب، وبياناً في المحاضرات والندوات، وكتابة في الصحف والمجلات، وعلى شبكة الاتصالات الدولية (الإنترنت) . . وكثرت المراثي شعراً ونثراً، وحقّ لنا ذلك كلّه؛ فالمصاب -والله- جلل، والرزية عظيمة؛ لأنه نقص للأرض من أطرافها كما روى ذلك الإمام الطبري في «تفسيره» لهذه الآية بسنده عن ابن عباس ومجاهد (٧/ ٤٠٨/ ٢٠٥٣٣ ، ٢٠٥٣٤).

التعريف بمناقب الأشياخ منهج سلفي حق:

ولا ريب أن لعلمائنا ومشايخنا الحق علينا في التعريف بأقدارهم، وفضائلهم،

ومناقبهم، أحياءاً وميتين، وليست الكتابة عنهم أمواتاً بأولى منها وهم أحياء يرزقون، رغم أنهم في موتهم أحياء؛ بما ورثوه من علم يحيي اللهُ به القلوب من مواتها، ويبصر به الأعين من عماها، أو عشاها، ويسمع الآذان من صَمَمِها- لما ثبت من قوله -عليه الصلاة والسلام-: «إذا مات [العبد] الإنسان انقطع [عنه] عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له»[1].

وإن من أعلام هذه الدّعوة المباركة في زماننا هذا، فضيلة الشيخ العلامة أبا عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي علامة القُطْرِ اليماني، وناشر بنود السنة، وحامل لوائها، ورافع رايتها في تلك البلاد، التي شهد لها المصطفى ﷺ بالإيمان والحكمة والفقه، ولأهلها بِرِقّةِ القلوب ولين الأفئدة.

وإنّي أكتب هذه الشذرات في ترجمةِ شيخنا -رحمه الله- مع علمي أنَّ غيري من تلاميذ الشيخ الملازمين له هم بلا شك أعلم مني بسيرته وأحواله، بل منهم أخذت الكثير مما سأكتبه، وهم أولى مني بالكتابةِ عن هذا الإمام الهمام، ولكلامهم عنه صدق لهجة، ودقة توثيق؛ ولكن شرف الكتابة عن هذا المجدد الفذ، هو الذي يدفع المرء أن يحرص على تحصيلها، ثم لعلها أن تكون دافعاً لإخواننا من تلاميذ الشيخ الملازمين له -أو الذين سبق لهم ولازموه من قبل، واستفادوا منه- للكتابة عنه، وإبراز دوره في إحياء السنة ونشرها، وبخاصةٍ في بلاد اليمن.

وإن كان قد سبقني إلى الكتابة عنه بعضهم، فليس ذلك بمانعي أن أضيف سطراً آخر إلى سِفْرِ فضائله، ومناقبه، أو لَبِنَةً في بناء خيره وعطائه، وتعبيراً عن محبتي له مع الحبيب المصطفى ﷺ، وأحبابه وأتباعه، الذابين عن سنته، والحاملين لواء دعوته على مر العصور؛ من أهل السنة والحديث والأثر.

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة.

الشيخ مقبل . . خير خلف لخير سلف:

هذا العَلَمُ السُّنِّي، والبيرق السلفي، والذي تناسل من أصلاب رجال، وأرحام نساءٍ من هذه القبيلة الهَمْدَانية الوادعة، والتي لها من اسمها نصيبٌ عظيمٌ، يراه ويلمسه المرء حين وصوله إلى تلك القرية الوادعة . . العذب ماؤها، النظيف رملها، الوارفة ظلال دواليها، اليانعة أشجار رُمّانها، المحاطة بالجبال التي يخيل إليك أنها تحضنها بحنوّ الوالدة على ولدها، منذ أن كان الزمان، لتنجب هؤلاء الأفذاذ من علماء الحديث والسنة على مر العصور، في وادي «دَمّاج» القريب من مدينة «صعدة» في أقصى شمال القطر اليماني المعروف اليوم، وحيث وُلِدَ الشيخ -رحمه الله-[1].

فقد نبغ من (هَمْدان) عموماً، ومن (وادعة) خصوصاً: كثيرٌ من الرجال الأفذاذ، الذين حملوا راية هذا الدين العظيم، منذ أن لاح فجره وانفجر، وتنفّس صبحه وانتشر، يوم أن دخلوا في دين الله أفواجاً طواعية، على أيدي الصحابة، معاذ بن جبل، وأبي موسى الأشعري، وخالد بن الوليد، وعلي بن أبي طالب، في زمن النبي ﷺ، وسارعوا إلى منبعه الصافي الرقراق في طَيْبَةَ الطيِّبة؛ إلى بيت النبوة، ومجمع الأصحاب، ينهلون من معينه، ويرتوون من قراحه، وإلى مكة المكرمة، ثم إلى سائر الأمصار، وبخاصّةٍ الكوفة، والبصرة، والمدائن، فكان منهم وعلى رأسهم، أبو عائشة مسروق بن الأجدع الهَمْدَاني الوادعي، ووالده الأجدع بن مالك الوادعي، وابن أخيه محمد بن المنتشر بن الأجدع بن مالك الوادعي، وفيروز الوادعي، وأبو عطية عمرو بن جُنْدُب الوادعي، ومَعْدِيّ بن أبي حُمَيْضَةَ الوادعي، وأخوه المنذر بن أبي حُمَيْضَةَ الوادعي، والحارث بن الأزمع الوادعي، وأبو حَيّة عمرو بن عبدالله بن الأصمّ الوادعي، وكلثوم بن الأقمر

(١) كنت قد كتبت هذه الترجمة قبل وفاة الشيخ -رحمه الله-، وذلك في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة (١٤٢٠هـ).

الوادعي، وأخوه علي بن الأقمر الوادعي، وشدّاد بن الأزمع الوادعي، وجميل بن عامر الوادعي، وأبو عطية مالك بن أبي حمزة الوادعي، وأبو ميسرة عمرو بن شُرَحبيل الوادعي، وأبو حية خالد بن علقمة الوادعي، وأخوه عمر بن أبي زائدة الوادعي والقاضي أبو حصين محمد بن حسن بن حبيب الوادعي، وإبراهيم بن أبي حصين الوادعي، وغيرهم كثير من أهل الحديث والفقه، فضلاً عن أهل الجهاد والرباط.

من هدي السلف أخذ العلم والعمل معاً:

وعلى هدي هؤلاء الأفذاذ من حملة السنة والحديث، سار شيخنا أبو عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته- تدعمه، وتحميه وتنافح عنه، قبيلته الوادعة (وادعة الهَمْدانية) -جزاها الله خير الجزاء- باحتضانها لطلاب العلم الذين يفِدون إلى الشيخ في كل يوم؛ بل وفي كلّ ساعة من ليل أو نهار، ينهلُون من علم الشيخ -رحمه الله- ويتعلّمون العلم بالعمل قبل القول . . حيث يتعلمون الزهد، والإيثار، والكرم، وحسن الخلق، وعفّة اللسان، منقطعين عن الدنيا، استعداداً للآخرة، على منهج السلف الصالح، في ملازمة الشيوخ، والأخذ عنهم العلم، والعمل معاً.

نشأة الشيخ، وتعلُّمه، وشيوخه:

وإن كان الشيخ -رحمه الله- قد نشأ في صغره في بيئة شيعية زيدية، وابتدأ بتلقي علومه الشرعية على مذهب الزيدية في اليمن، إلا أن الله امتنّ عليه، ويسّر له الإقامة في مكة، بجوار المسجد الحرام، ينهل من علوم علماء الحرم المكي، أمثال الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، ثم الإقامة في المدينة النبوية، والدراسة في جامعتها الإسلامية، حتى حصوله على درجة الماجستير في الحديث النبوي الشريف وعلومه منها، والتي تلقى العلم عن أستاتذتها أمثال: الشيخ محمد الأمين المصري، والشيخ محمد الحكيم، والشيخ محمود بن

عبدالوهاب بن فائد، والشيخ حماد الأنصاري، وغيرهم كثير.

ولقد كان بحثُه العلمي في دراسة وتحقيق كتابي «الإلزامات، والتتبع» للحافظ الدارقطني -ضمن متطلبات حصوله على درجة الماجستير تلك - عظيم الأثر في التعريف بمنهج أهل الحديث المُنصف في النقد والإطراء على حد سواء، ثم كان لعودته الميمونة المباركة إلى اليمن؛ لينشر ما حصّله من علوم شرعية، وفرائض دينية، وسنن نبوية، وكنوز أثرية . . . فأحيا اللهُ به من الفرائض، والسنن التي اندثرت أو كادت، على مر السنين، ما شاء الله أن يحيي.

بعض تلاميذ الشيخ ومصنفاتهم:

وقد سار على نهجه في إبراز وإظهار الأسانيد، وربطها بمتونها، ونقدها، والحكم عليها، بعض تلاميذ الشيخ، وبخاصّةٍ تلميذه النجيب أخونا الشيخ (أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني المصري ثم المأربي)؛ الذي صنَّف المؤلّفات النافعة، مثل كتاب «شفاء العليل، بألفاظ وقواعد الجرح والتعديل»، وكتاب «إتحاف النبيل في أجوبة أسئلة المصطلح والجرح والتعديل»، والذي استفاد أكثر مادته من الشيخ -رحمه الله-.

وتلامذته الآخرون كثيرون، مثل الشيخ محمد بن عبدالوهاب الوصابي، والشيخ عبدالعزيز البُرَعي، والشيخ محمد الإمام، وغيرهم . . .

علم الشيخ ومصنفاته:

وإن المرء ليعجب كلّ العجب من علم الشيخ عندما يتكلم في الرجال، والأسانيد، والعلل، والمتون، وبخاصّةٍ لما يحث على تعلم الحديث، والحرص عليه، ويذكر قصص أهل الحديث من خلال ذكر تراجمهم، وصبرهم، وتحمُّلهم في الرحلات العلمية، ومصابرة العلم وتحصيله، وزهدهم في الدنيا، ولإقبالهم على الآخرة، فيتمنى من صميم قلبه لو يبقى هناك، ينهل من هذا البحر الذي لا ساحل له.

وليس أدل على اهتمامه بالأسانيد ومتونها، من مصنفاته المعتمدة على

إظهار وإشهار الأسانيد المسندة مثل: «الصحيح المسند في أسباب النزول»، و«الصحيح المسند من دلائل النبوة»، و«الجامع الصحيح في القدر»، و«الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين»، وقد حدثني في سنة عشر وأربع مئة وألف: انه بصدد جمع أوهام الحاكم في «المستدرك» في مؤلف مستقل بعد أن توقف عن إكمال تحقيق «التفسير» للحافظ ابن كثير الدمشقي.

مناقب الشيخ الجمة:

أما كلام الشيخ في اللغة، والنحو، والشعر، والأدب، فهو فارسه الذي لا يشق له غبار، وبحره الذي لا يدرك له قرار، فتسمع العجب العجاب من إحاطته بكل هذه الشواهد الشعرية، والتطبيقات النحوية، والصرفية، وسياقته للآيات والأحاديث الدالة على ذلك، ولطالما سمعنا إخواننا من طلبة الشيخ، ينشدون الشعر بين يديه؛ في بيان أصول الدعوة، ونصرتها، والحث على كل حسن وكريم، في معالي الأمور، ومكارم الأخلاق، وطلب العلم، ونشر الدعوة، وقمع البدعة، والتحذير من الفتن، ثم تجده بعد ذلك يقيّم ويوجّه، ويرشد ويصحّح، ولا أدري إن كان هو نفسه ينظِمُ الشعر أم لا، لأن نظم الشعر في بلاد اليمن يكاد يكون عفوياً على جُلّ الألسنة.

وأما كلامه في أهل البدع والضلال من (مذهبيين متعصبين)، و (حزبيين حركيين)، و(طرقيين جاهلين)، و(جمعيين انتهازيين نفعيين)[1]، وغير ذلك، والتحذير منهم ومن تقليدهم، ومن يدور في فلك الطغاة والجبابرة منهم، ومن غيرهم: فهو السيف المهند، والرمح الرُّدَيني؛ بل المدفع القاصف . . . لكل بدعة وضلال وطغيان، حتى صاروا يخشون كلمته أكثر من خشيتهم سلاح من يتربّص بهم، ممن هم على شاكلتهم، من أهل الأهواء، والبدع والأحزاب؛ وكل كلامه في ذلك داخلٌ ضمن قوله -تعالى-: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا

(١) أعضاء الجمعيات الحزبيّة . .

اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[المائدة:٨]، وعلى قواعد وأصول علماء الجرح والتعديل، وقد كتب في ذلك «رياض الجنة في الرد على أعداء السنة»، و«المخرج من الفتنة»، و«مقتل الشيخ جميل الرحمن»[١]، وسجّل عدة أشرطة بعنوان (حاطب ليل) بيَّن فيها أحوال بعض الدعاة العلمية الرثّة في زماننا، كلّ ذلك من خلال أصول وقواعد الجرح والتعديل، التي أصّلها وقعّدها علماء هذا الفن العظيم الخالد.

وأما احترامه لأهل السنة والجماعة من طلاب العلم وأهله، ممن عرف الناس لهم قدرهم، وثناؤه عليهم، والحثّ على الأخذ منهم، وعنهم . . وسؤاله عن أحوالهم، والدعاء لهم، ومقارنتهم بعلماء السلف، والتحذير من تقليدهم، مع ثنائه عليهم، وبيانه فضلهم؛ كقوله: «لو أردنا أن نقلد ابن باز، أو الألباني . . . لقلّدنا من هو خير منهما، مالك، والشافعي، وأحمد، والبخاري، ومسلم وأمثالهم»، ولكنه الإنصاف والعدل الذي يتمثّل في قوله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾[النساء: ١٣٥]، ولطالما ردّد على مسامعنا قول الشاعر:

لا فرق بين مقلد في دينه
راضٍ بقائده الجهول الحائر
وبهيمة عمياء قاد زمامَها
أعمى على عِوَجِ الطريق الجائر

وأما مكتبته العامرة بصنوف كتب الفقه، والحديث، والتفسير، واللغة، وغيرها، فهي من أعظم المكتبات الشخصية التي رأيتها، والتي لا تكاد تجد كتاباً منها إلا وقد ظهرت على هوامشه تعليقات وملاحظات الشيخ وتلاميذه، وعلى أطرافه آثار كثرة الاستعمال، والتداول، والبحث.

ولقد نهج الشيخ -رحمه الله- نهجاً سنياً، سلفياً، أصيلاً، في بعده عن أبواب

(١) وهو إمام أهل السنة والحديث السلفيين، في الجهاد الأفغاني ضد الشيوعيين الأفغان، و (السوفييت)، قتله أحد الحزبيين المأجورين -عليه من الله ما يستحق-.

السلاطين، والنأي بنفسه وتلاميذه عن الوظائف العامة، والعمل لهم ولها، حرصاً منه على وقته المبارك؛ لخدمة العلم الشريف، والدعوة السلفية، والسنة النبوية، وترفُّعاً عن الدنيا وزينتها، وبهرجتها وبريقها، وبُعداً عن التناحر على فُتاتها، ومتاعها الزائل، وإعمالاً لصدق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي يتطلّب جرأة في الحق، وصدقاً في القول، وطهارة في اليد، وعِفّةً في النفس، وبُعداً عن الفتن، وتطبيقاً لقوله ﷺ: «من بدا جفا، ومن تبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلطان افتتن، وما ازداد عبد من السلطان قرباً إلا ازداد من الله -عزّ وجلّ- بُعداً»[1].

وأما أقوال أهل العلم فيه، فهي كثيرة جداً، منها ما سمعناها منهم مباشرة، ومنها ما تواتر نقلُها عنهم من طريق الثقات العدول، من أهل العلم وطلبته، والفضلاء وغير الفضلاء من الناس، من محبّيه وشانئيه على حدٍّ سواء . . .، ومنها ما سطروه في كتبهم وكتاباتهم، ولطالما سمعنا شيخنا الألباني -رحمه الله- يذكره بخير، ويثني عليه، ويسأل عن أحواله، وكذلك إخواننا من أهل العلم وطلبته في الأردن؛ أمثال: الأخ علي الحلبي، والأخ سليم الهلالي، والأخ مشهور حسن، والذي سمعته يوم بلغتنا وفاة الشيخ حماد الأنصاري -رحمه الله- يقول: «الشيخ مقبل . . إمام».

ولقد بَلَغَنا أن الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله تعالى- وكعادته- كان يهتم بأمور الشيخ، ويثني عليه، وعلى جهوده في نشر الدعوة والسنة، ولقد رأيت أكثر من مرة بعض رُسل الشيخ ابن باز -رحمه الله- الذين كانوا يَفِدُونَ إلى مركز الشيخ مقبل في (دمّاج -صعدة)، ومراكز الحديث الأخرى، بصلات ومعونات الشيخ -رحمه الله- لتلك المراكز.

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٩٦٨١)، و (٨٨٢٣)، وإسحاق بن راهويه في «المسند» (٤٢٩)، والبيهقي في «الكبرى» (٢٠٠٤٢) من حديث أبي هريرة، والطبراني في «الكبير» (١١٠٣٠)، و«الأوسط» (٥٦٠) من حديث ابن عباس.
وقد صحّحه شيخنا الألباني -رحمه الله-.

وكذلك كان الشيخ محمد بن صالح العثيمين، وغيره من شيوخ الحرمين، وسائر الجزيرة، ومصر، والشام، وعلماء شبه القارة الهندية، وغيرها من بلاد الإسلام.

وأما أثره في نشر السنة، وعقيدة السلف في اليمن خاصة، فينجلي في هذا الكم غير القليل، من المراكز العلمية، والمدارس الحديثية، والمساجد السنية، والمكتبات السلفية التي انتشرت في ربوع اليمن على أيدي محبيه وتلاميذه النجباء الكُثر، من أقصى الشمال في (صعدة) إلى أقصى الجنوب في (الشحَر)، و(حضرموت)، ومن أقصى الغرب في ساحل (تِهامة) إلى أقصى الشرق في (مأرِب) و (الجوف)، مروراً (ببني غُثيمة)، و (خُمر)، و (رِيدَة)، و (عمران)، و (حجّة)، و (صنعاء)، و (رَيْمة)، و(مَعْبَر)، و (دَمَار)، و (رَدَاع)، و(البيضاء)، و (الضحاكي)، و (ذي ناعم)، و (يريم -يحصب)، و (إبّ)، و(تَعْز)، و (الحُديدة)، و (زَبيد)، و(القاعدة)، و (الضالع)، و (عدن)، و(أَبيَن)، و (لَحْج)، وغيرها من المدن، فضلاً عن القرى، والمخاليف، والقبائل، وغيرها من ربوع اليمن الميمون السعيد، عبر السهول، والجبال، والوديان، والفيافي، والقِفار.

وإن المرء ليعجب كلّ العجب من هذه البركة التي يضعها الله -عزّ وجلّ- في وقت الشيخ -رحمه الله، وعفا عنه- فهو يسامر ضيوفه وزائريه، ويجيب عن أسئلتهم، والقضايا التي يحملونها إليه من مناطقهم وبلادهم، ومخاليفهم وقبائلهم، يسامرهم إلى ساعة متأخرة من الليل، ثم يجالسهم بعد الفجر حتى يكونوا هم المنصرفين عنه لا هو، ثم تجده في الدروس مع المتقدمين من تلاميذه بعد العصر في «شرح ابن عقيل» وغيره، مما لا يُحسنه غيره، وبعد المغرب في شرح كتب الحديث، وبعد العشاء في الاستماع للضيوف القادمين، يحاضرون، أو يعظون، أو يدرّسون.

ولا يأنف أن يخرج مع تلاميذه وضيوفه إلى الرمال، وتحت الأشجار، يستمع إليهم باهتمام، ويوجّههم، وينصحهم لما فيه خيرهم، وخير أمتهم.

بل ويحمل قِرى ضيوفه بيديه، ويقدّمه إليهم بنفسه، ويرغّبهم في الطعام ويحثّهم عليه، ويتفقّد كل واحد منهم؛ حتى ليشعر المرء بأنه الضيف الوحيد من شدّة ما يرى من اهتمام الشيخ به، كلّ ذلك مع حُسْن سَمْتٍ يدلُّ على علم غزير بالسُّنَّة ظاهراً وباطناً، وحسن أدب في انتقاء العبارة واللفظة، ولا ينسى أن يُشيّع زائريه إلى محطة الوقود في قريته ليملأ لهم خزانات الوقود على نفقته، ليعودوا من حيث أَتَوْا وهم يتساءلون: أحقاً ما نرى؟!

وأخيراً؛ فلا يسع الإنسانَ بعد هذا كله إلا أن يتساءل بإعجاب: كيف يقوم الشيخ بواجباته البيتية، والاجتماعية؟! متى يحقّق . . ويصنّف . . ويكتب؟! متى ينام؟! متى يحضّر لدروسه؟! متى؟! ومتى؟!

ولكنه منهج السلف! وسموُّ النفس! وقوة العزيمة! وعلوُّ الهمة، وقبل ذلك كله وبعده، توفيق الله، وفضله.

وبعد حياة حافلة بالجهاد والاجتهاد، وإحياء السنن، وقمع الفساد؛ ابتُلي فضيلة شيخنا بمرض عُضال؛ لم يُمهله طويلاً -عسى أن يكون الله -تعالى- رفع به درجاتِه، وكفَّر عنه خطيئاته-، فتوفّاه الله -تعالى- في بعض مستشفيات جُدة -في بلاد الحرمين- مساء يوم السبت، غرة جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة وألف هجرية، الموافق للحادي والعشرين من شهر تموز سنة (٢٠٠١م)، وصُلّي عليه فجر اليوم الأحد الثاني من جمادى الأولى، في المسجد الحرام -الذي كان يعشق ويحب-، وأمَّ الصلاةَ عليه فضيلة الشيخ «صالح بن حميد» -نفع الله به- ثم دُفن ضحى اليوم نفسه في مقبرة العدل (بمكة المكرمة)، حيث دُفن من قبله فيها حبيباه، وصاحباه، وأخواه، وشيخاه: سماحة الشيخ (عبدالعزيز بن عبدالله بن باز)، وسماحة الشيخ (محمد بن صالح العثيمين).

رحم الله الجميع رحمة واسعة، وجمعنا وإياهم في دار كرامته، في جوار حبيبه المصطفى ﷺ.

والحمد لله رب العالمين.

وصية الشيخ مقبل الوادعي

• منقولةٌ من خطّه -رحمه الله-.

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

وأشهد أن لا إله إلا الله -وحده لا شريك له-.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فيقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾، ويقول - سبحانه وتعالى-: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾، ويقول -سبحانه وتعالى-: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾، ويقول -سبحانه وتعالى-: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

وروى الترمذي في «جامعه» بسند صحيح عن أبي عَزّة يسار، عن النبي ﷺ: «إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة»، هذا الحديث كثيراً ما أقرؤه على إخواننا في رحلاتنا؛ فإني لا أستغرب أن يغدر بنا الأعداء، فإن دعوةً واجهتِ الباطلَ متوقّعٌ أن يغدر بها أصحابُ الباطل، ولعله قد قدّر اللهُ أن أموت على فراشي، وكنت أرغب أن يُختم لي بالشهادة مع الدعوة، والحمد لله على ما قدّر الله؛ على أنه قد قال غير واحد من العلماء: إن الرد على أهل البدع بمنزلة الجهاد في

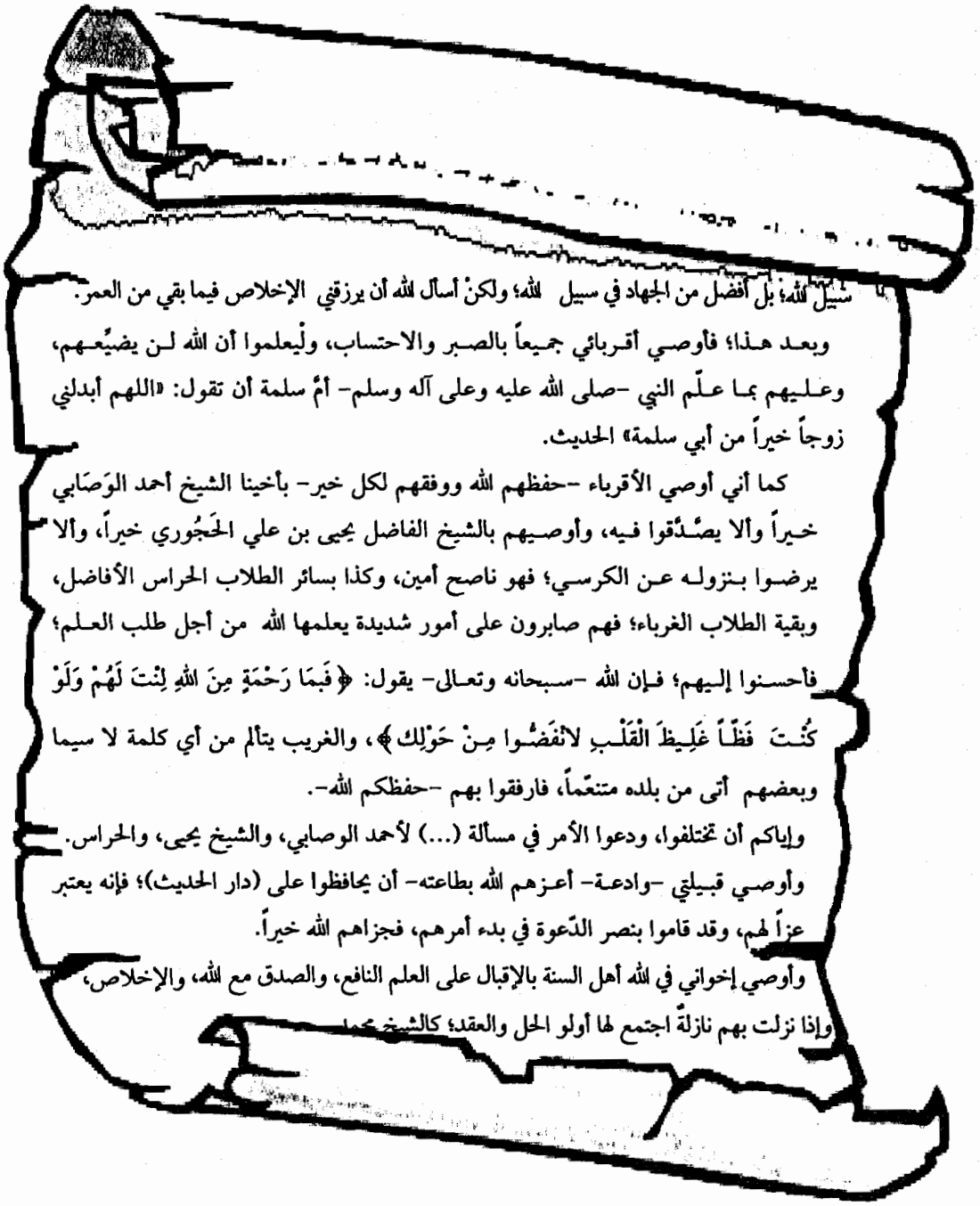

سبيل الله؛ بل أفضل من الجهاد في سبيل الله؛ ولكنْ أسأل الله أن يرزقني الإخلاص فيما بقي من العمر.

وبعد هذا؛ فأوصي أقربائي جميعاً بالصبر والاحتساب، ولْيعلموا أن الله لن يضيِّعهم، وعليهم بما علّم النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أمَّ سلمة أن تقول: «اللهم أبدلني زوجاً خيراً من أبي سلمة» الحديث.

كما أني أوصي الأقرباء -حفظهم الله ووفقهم لكل خير- بأخينا الشيخ أحمد الوَصَابي خيراً وألا يصَدَّقوا فيه، وأوصيهم بالشيخ الفاضل يحيى بن علي الحَجُوري خيراً، وألا يرضوا بنزوله عن الكرسي؛ فهو ناصح أمين، وكذا بسائر الطلاب الحراس الأفاضل، وبقية الطلاب الغرباء؛ فهم صابرون على أمور شديدة يعلمها الله من أجل طلب العلم؛ فأحسنوا إليهم؛ فإن الله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِك﴾، والغريب يتألم من أي كلمة لا سيما وبعضهم أتى من بلده متنعّماً، فارفقوا بهم -حفظكم الله-.

وإياكم أن تختلفوا، ودعوا الأمر في مسألة (...) لأحمد الوصابي، والشيخ يحيى، والحراس.

وأوصي قبيلتي -وادعة- أعزهم الله بطاعته- أن يحافظوا على (دار الحديث)؛ فإنه يعتبر عزاً لهم، وقد قاموا بنصر الدّعوة في بدء أمرهم، فجزاهم الله خيراً.

وأوصي إخواني في الله أهل السنة بالإقبال على العلم النافع، والصدق مع الله، والإخلاص، وإذا نزلت بهم نازلةٌ اجتمع لها أولو الحل والعقد؛ كالشيخ يحيى

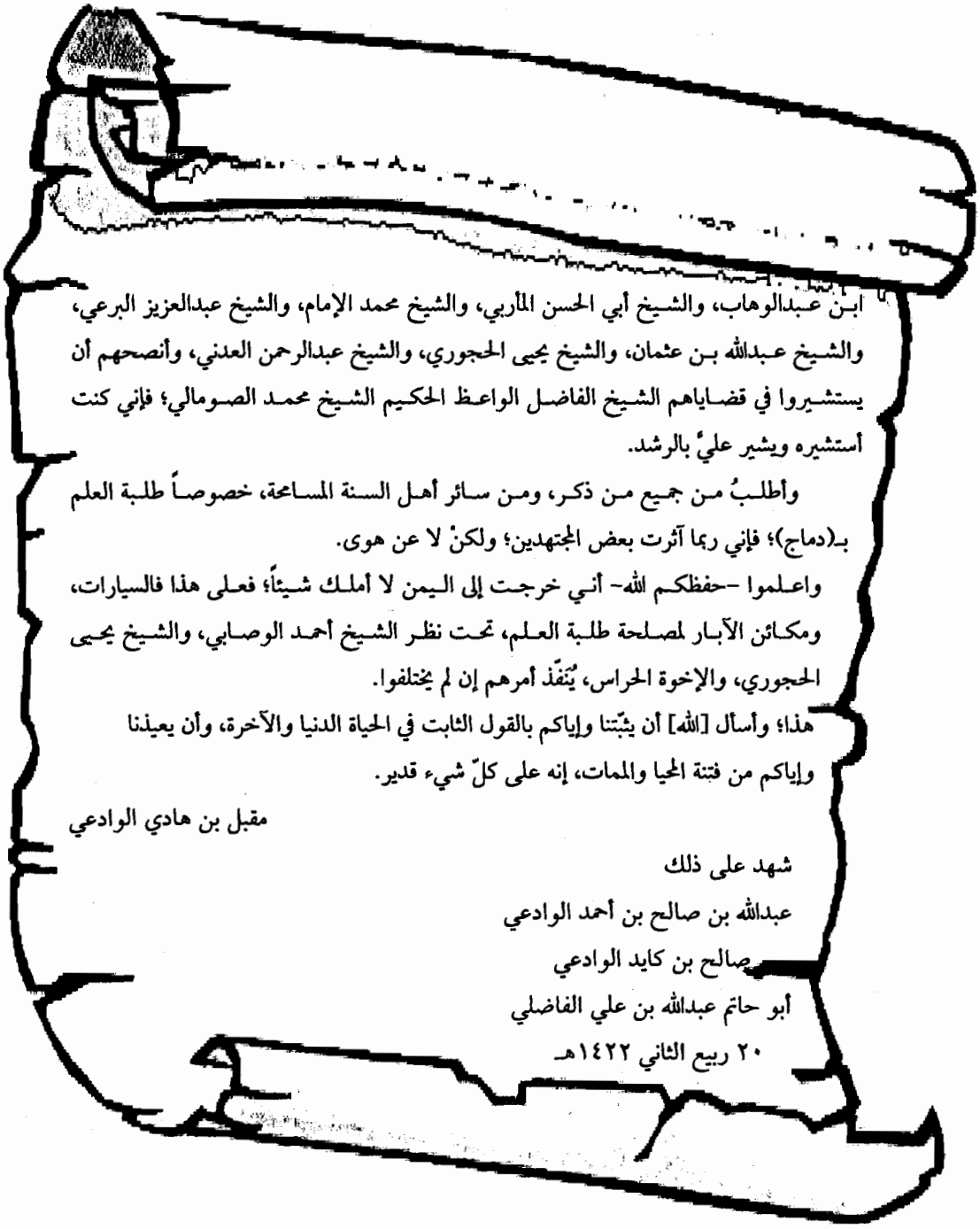

ابن عبدالوهاب، والشيخ أبي الحسن المأربي، والشيخ محمد الإمام، والشيخ عبدالعزيز البرعي، والشيخ عبدالله بن عثمان، والشيخ يحيى الحجوري، والشيخ عبدالرحمن العدني، وأنصحهم أن يستشيروا في قضاياهم الشيخ الفاضل الواعظ الحكيم الشيخ محمد الصومالي؛ فإني كنت أستشيره ويشير عليَّ بالرشد.

وأطلبُ من جميع من ذكر، ومن سائر أهل السنة المسامحة، خصوصاً طلبة العلم بـ(دماج)؛ فإني ربما آثرت بعض المجتهدين؛ ولكنْ لا عن هوى.

واعلموا -حفظكم الله- أني خرجت إلى اليمن لا أملك شيئاً؛ فعلى هذا فالسيارات، ومكائن الآبار لمصلحة طلبة العلم، تحت نظر الشيخ أحمد الوصابي، والشيخ يحيى الحجوري، والإخوة الحراس، يُنفّذ أمرهم إن لم يختلفوا.

هذا؛ وأسأل [الله] أن يثبّتنا وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة، وأن يعيذنا وإياكم من فتنة المحيا والممات، إنه على كلّ شيء قدير.

مقبل بن هادي الوادعي

شهد على ذلك

عبدالله بن صالح بن أحمد الوادعي

صالح بن كايد الوادعي

أبو حاتم عبدالله بن علي الفاضلي

٢٠ ربيع الثاني ١٤٢٢هـ

وفاة الشَّيخ مُقْبل . . وَمَا بَعْدَها !

● بقلم: الشيخ أبي الحارث علي بن حسن الحلبي الأثري

الحَمْـــدُ للهِ عَلَـــى الأَحْـــزانِ ... وَكَـــذَاكَ أَفْـــراحٌ بِكُـــلِّ زَمَـــانِ

هَـــذي الشُّـــيُوخُ تُوُفِّيـــتْ أَعْـــيانُها ... كالْـــبازِ، ثُـــمَّ الصَّـــالِحِ، الأَلْـــبَانِي

وَقُبَـــيْلَ أَيَّـــامٍ قَلِـــيلٍ عَدُّهَـــا ... مَـــاتَ ابْـــنُ هَـــادِي العَـــالِمُ الـــرَّبَّانِي

الشَّـــيْخُ مُقْـــبِلُ عَـــالِمٌ وَمُحَـــدِّثٌ ... هُـــوَ دُرَّةٌ في بلْـــدَةِ الإِيمَـــانِ

إنَّ البُـــيُوتَ لَهَـــا أُصُـــولٌ أَرْبَـــعٌ ... فَبِنقْضِـــها ذي هَـــدَّةُ الأَرْكَـــانِ

يَمَـــنٌ سَـــعِيدُ بِفضْـــلِهِ وَبِعلْمِـــهِ ... في نُصْـــرَةٍ لِلْحَـــقِّ وَالإِحْسَـــانِ

أَمَّـــا ذَوو الأَحْـــزَابِ كُـــلٌّ غاضِـــبٌ ... مِـــنْ نَقْضِـــهِ للشَّـــرِّ والهَذَيَـــانِ

مِـــنْ بِدْعَـــةٍ، أَوْ سَـــوْأَةٍ، أَوْ خـــالِفٍ ... مِـــنْ مِـــثْلِ نَقْضِ جَمَاعَـــةِ الإِخْـــوانِ

صَـــارَ الحَدِيـــثُ بِعِلْمِـــهِ وَرُوَاتِـــهِ ... نُـــوراً يُسَـــدِّدُ هَـــيْعَةَ الشُّـــبَّانِ

ذَا شُـــعْبَةٌ، ذَا مُسْـــلِمٌ، ذَا مَـــالِكٌ ... في مِـــثْلِ تَخْـــرِيجٍ وَعَـــزْوٍ ثَـــانِ

للضَّـــبْطِ والتَّحْقِـــيقِ عِلْـــمٌ شَـــامِلٌ ... رَحَلَـــتْ إِلَـــيْهِ جَحَـــافِلُ الرُّكْـــبانِ

مِـــنْ مِـــثْلِ دَمَّـــاجٍ وَصَـــعْدَةَ قَـــبْلَها ... لا خَـــوْفَ مِـــنْ جَـــبَلٍ وَلا وِدْيَـــانِ

صَـــبْراً علَـــى العِلْـــمِ الَّـــذي هُـــوَ سُنَّةٌ ... أَحْـــيا بِـــهِ رَبِّـــي قُلُـــوبَ عَـــوَانِ

أَمَـــلٌ بِصَـــحْبِ الشَّـــيْخِ غَـــيْرُ مُشَـــتَّتٍ ... حِرْصـــاً عَلَـــى جَمْـــعٍ بِغَـــيْرِ تَـــوانِ

لا تَفْـــتَحُوا إِخْوَانَـــنا شَـــرّاً بِكُـــمْ ... بِالسُّـــوءِ خَلْـــفَ مَقالَـــةِ الشَّـــيْطانِ

فالصَّـــبْرُ ثُـــمَّ الصَّـــبرُ ثُـــمَّ نَصِـــيحَةٌ ... تُحْـــيِي القُلُـــوبَ بِغَـــيْرِ إِثْمِ الجَـــانِي

فَـــالآنَ يَحْـــيَى وَالوَصَـــابِيُّ كَـــذا ... مِـــثْلُ أَبُـــو حَسَـــنٍ هُـــمُ إِخْوَانِـــي

وَكَـــذَاكَ عَـــبْدٌ للعَزِيـــزِ وَمِـــثْلُهُ ... هَـــذَا الإِمَـــامُ بِمَعْـــبَرٍ بِأَمَـــانِ

لا فَـــرْقَ بَـــيْنَ شَـــمَالِهِمْ وجُنُوبِهِم ... كُـــلُّ الجِهَـــاتِ فَسُـــنَّةُ العَدْنَـــانِ

إنَّ الـــتَّفَرُّقَ شَـــرُّهُ مُـــتَطايِرٌ ... فالحِـــرصُ والحَـــقُّ هُمَـــا نُـــورانِ

بَـــلْ وَاجِـــبٌ بَعْـــدَ الشُّـــيوخِ تَوَحُّـــدٌ ... وَتَوَحُّـــدٌ فِـــيهِ قُـــوَى البُنْـــيانِ

هَـــذا الوفَـــاءُ الحَـــقُّ نَحْـــوَ شُـــيُوخِنا ... لا أَنْ نُفَـــرِّقَ جَمْعَـــنا مُـــذْ آنِ

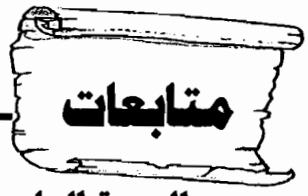

الدورة العلمية الأولى في مدينة لندن – عاصمة بريطانيا

من تاريخ: (٦/٨/٢٠٠١م إلى تاريخ: ١٢/٨/٢٠٠١م)

• بقلم: أسرة التحرير

أُقيمت في مدينة لندن عاصمة بريطانيا - الدّورةُ العلمية الأولى في مسجد ابن تيمية في حيّ (بريكستون)- لمدّة ستة أيّام، بواقع أربعة دروس يومياً، وذلك بإشراف ومتابعة «مركز الإمام الألباني -رحمه الله-».

وقد شهد هذه الدورة المباركة -إن شاء الله- مئةٌ وخمسون طالباً، وخمسون طالبةً؛ واظبوا على حضور دروسها، وثابروا على متابعة علومها.

ولقد كان المدرسون في هذه الدورة المشايخَ: (أسامة القوصي، ومحمد موسى نصر، وسليم الهلالي، وعلي الحلبي)؛ وكانت العلوم التي يدرّسونها -على ترتيب أسمائهم: (المنهج والعقيدة، والتلاوة والتجويد، ومصطلح الحديث، والفقه)، وذلك من خلال التدريس لكتب علميّة منهجيّة معتبرة؛ وهي: (كتاب «التوحيد» للشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، وكتاب «القول المفيد في وجوب التجويد» للشيخ محمد موسى نصر، وكتاب «المقدمة الموقظة» للإمام الذهبي، وكتاب «منهج السالكين» للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

ولم يتيسّر إتمام تدريس بعض هذه الكتب، وإنما أجزاء منها.

ثم في ختام الدّورة عُقدت للطلبة اختبارات علميّة، تقدّموا إليها -زادهم الله توفيقاً- بثبات، وخاضوا -ولله الحمد- بنجاح.

وقد تخلّل هذه الدورة -ولله الحمد- عقدُ ندواتٍ ودروس عامّة نُقلت عبر (الإنترنت) إلى أنحاء العالم كُلّه، وكان الحاضرون لها من خِلال ذلك جمّاً غفيراً؛ بحيث يكادُ عددُهم قياسيّاً - والفضل لله وحده-.

وفي مجلس الختام عبّر الإخوة والأخوات عن تأثّرهم العميق بهذه الدورة العلمية الأولى في نوعيّتها، والأولى في مقدار استفادتهم منها، وكيف أنّهم عاشوا أياماً رائعةً جميلةً، كانوا فيها كأنّما هم في رياض الجنّة يرتعون، وفي

ظلالها يتنعّمون؛ حتّى إنّ بعض الأخوات - غير الناطقات باللغة العربية- نظمت شعراً باللغة الإنجليزية؛ تُعبِّر فيه عن فرحتها بالدّورةِ - من جهةٍ-، وعن أسفها وتأثُّرها بانتهائها - من جهةٍ أخرى-.

وسيكون -إن شاء الله- إعادةٌ لهذه الدورة الأولى في منطقة أخرى من بريطانيا بتاريخ (٢٥/ ١٢/ ٢٠٠١)، لتعقد الدورة الثانية لكلا الطرفين في بريطانيا نفسها -في مكان ثالث- بتاريخ (١/ ٨/ ٢٠٠٢م)؛ لتكون الفائدة أعمَّ، ولينتشرَ الخيرَ أكثر . .

والله وليُّ المتّقين.

وقد قام أخونا الشيخ علي الحلبي -جزاه الله خيراً- بنظم الترجمة العربية للشعر الإنجليزي المذكور؛ قائلاً:

إخوانَنا في الدينِ والإيمانِ ... عِلمٌ غذاءُ الروحِ والإيقانِ

شكراً لأنعامِ الإلهِ وفضلِه ... هو رازقٌ عزّاً بذي الأديانِ

قبضاً على الإسلامِ والدِّينِ الذي ... هو فَخْرُنا بالقلبِ والأبدانِ

كم نحن نكره للفراق لأنه ... صعبٌ وصعبٌ ثم صعبٌ ثانِ

والدّمع لم يذهب وباقٍ حرُّهُ ... والقلبُ يبكي دمعةَ الأحزانِ

ها هم شيوخٌ يتركون بلادنا ... في بدعةٍ ولرحمةِ الكفرانِ

كم كُرْهُنا يزدادُ إتعاباً لنا ... من أجلِ عودةِ حالِنا مُذ آنِ

وأخصُّ أيّاماً جميلاً حالُها ... بالشرعِ والعلمِ كذا الإحسانِ

كان اليقينُ طعامَنا وشرابَنا ... هُوَ ذا اليقينُ الحقُّ بالتبيانِ

وكأنّنا لم نعرفِ الماءَ لذا ... كُنّا عطاشاً طيلةَ الأزمانِ

لكنّنا لم نَرْوِ عَطْشَ قلوبِنا ... بل زيدَ فينا لوعةُ الظمآنِ

عَطَشٌ إلى العلمِ الصحيح هو الذي ... هديُ الرسولِ وشرعةُ القرآنِ

يا ربِّ زِدْ منّا العطاشَ بحقِّنا ... لِننالَ علْماً واسعَ العِرْفانِ

ثم السلامُ على الشيوخِ شيوخِنا ... ليس الأخيرَ ولا هو الوَحْدانِي

نرجو الإلهَ توحُّداً لقلوبِنا ... بَعْدَ الفراقِ وبُعْدِ ذي البُلدانِ

نرجو بناءً ثانياً في أصلِه ... مع بعضِنا رفعاً لذي الأركانِ

أركانِ دينِ الحقِّ نهجِ نبيِّنا ... نهجٌ حنيفٌ نهجُنا الربّانِي

ليكونَ منّا صدقُنا في دعوةٍ ... لِنذوق فضلَ حلاوةِ الإيمانِ

فجزاكمُ عنّا الإلهُ مثوبةً ... نلتمْ بها خيراً بلا نقصانِ

ليس لها من دون الله كاشفة

● بقلم: أسرة التحرير

تناقلت الأنباء أن اليهود -إخوان القردة والخنازير- قد قاموا بوضع حجر الأساس لما يسمى بـ (هيكل سليمان) -المزعوم- في ساحة المسجد الأقصى.

يُقدِم يهود على هذا العمل الإجرامي على مرأى ومسمع العالم العربي والإسلامي؛ -أفراداً- الذي زاد عدده على المليار مسلم، ودُوَلاً تجاوزت الخمسين دولة؛ ولكنهم -في مجملهم - وللأسف-كما قال النبي ﷺ: «أنتم كثير؛ ولكنكم غثاء كغثاء السيل».

نعم؛ لولا هذه الغثائية التي تجتاح أُمّتنا الإسلامية لما اجترأ يهود على تدنيس مقدسات المسلمين، ومن قبل على حرق المسجد الأقصى، ومن بعد على قتل المصلين فيه وفي غيره.

وإزاء صمت تلك الدّول يقف شعب فلسطين -الأعزل- ليجابه بصدرِه وحجارتِه اليهودَ بكلّ ما يملكون من أسلحة البطش والدّمار.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل الدّفاع عن المسجد الأقصى مسئولية الشعب الفلسطيني -الأعزل المقهور المحاصر؟!- أم هو مسئولية العالم الإسلامي جميعه؛ حُكّاماً ومحكومين؟

ثم أين يقع الدّفاع عن المسجد الأقصى في (أجندة) تلك الحكومات؟!

ثم ماذا هم قائلون حين يقفون بين يدي ربهم: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾؟!

ثم إلى متى تبقى دولنا الإسلامية تكتفي بالنظر إلى دماء الشعب الفلسطيني؛ وكأن الأمر لا يعنيهم من قريب أو بعيد!!

ولماذا تُشغل الأمة وفي هذا الوقت بالذات عن أقدس واجباتها في التصدي لليهود، وجهادهم، ونصرة المسلمين المستضعفين في فلسطين؟!

نعم؛ تُشغل بالمهرجانات -على أنواعها!- التي يُنفق عليها الآلاف بل الملايين، والشعب الفلسطيني؛ بل أكثر الشعوب الإسلامية تتضوّر جوعاً، وتُشغل بالمباريات والتحريش بين الفرق، والشعب الفلسطيني يُذبح على أيدي يهود!!

يُعتِّم الإعلام العربي والإسلامي -فضلاً عن الغربيّ الكافر- على جرائم يهود، بالترويج للمهرجانات، والمباريات -فإلى الله المشتكى- فكان الواجب تعبئة الأمة تعبئة جهادية، وتربيتها تربية ربانية -على أيدي كبار علمائها، وصُلحاء ولاتها- حتى لا تتكرر مأساة (عام٤٨) و (عام٦٧)، وما حصل ثَمَّةَ من هزائم وتشريد، وَهْك وتبديد، ثمّ احتلال للأرض، وانتهاك للعرض.

هل نتعلم من أخطاء الماضي فنعلم أن نصر الله لا يُنال بمعصيته؟! بل هو سبب رئيس في هزيمة ساحقة ماحقة، لا تُبقي ولا تذر، والواقع الأليم لا يدعو إلى التفاؤل إلا أن يشاء الله . . .

فهل إلى خروج من سبيل؟!!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

«ما علّق العبدُ رجاءه وتوكّله بغير الله إلا خاب من تلك الجهة، ولا استنصر بغير الله إلا خُذل، وقد قال الله -تعالى-: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً﴾». [«مجموع الفتاوى» (١/ ٢٩)]